

فتحي عبد العزيز

الخميني الحل الإسلامي والبديل



اهداءات ٢٠٠١

اد. محمود دياب
جراح بالمستشفى الملكي المصري

فتحي عبد العزيز

الخميني الحل الإسلامي والبديل



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

اهداء

الى رجلى القرن

الامام الشهيد حسن البنا . .

والامام الثائر آية الله الخميني . . .

مقدمة

مع انتهاء عام ١٩٧٧ م كانت الظروف الموضوعية قد نضجت للثورة محليا : فساد هائل ، واسلاميا : وعى متزايد وتجربه فكرية وسياسة في غاية العلمية وفي اطار من الاطروحات **الشيوعية** المصرية - التي اقتربت من اهل السنة - ضمن فترة من انشط الفترات فكريا في تاريخهم ودوليا : عدم رضا غربى .

وهكذا جاء شتاء ٧٨ .. لم يكن بارداً تماماً .. ففد جاء الربيع مبكراً الى ايران .. انه ربيع الثورة يتسلل بروعة تاريخية لم تسجل من قبل .. ذكى الخطوات .. ينسم بوعى عصرى وجمال عاشق .. ان للعمائم السوداء دور في الربع الآخر من القرن العشرين .. وللطرحات النسائية السوداء .. دور أبضاً ..

ووقف العالم متدوها وهو يرى السيدة الإيرانية تهبط من جبال قم وتسيراز وتبريز الى شوارع طهران .. رافعة فبضتها في وجه العسكر ورافعات البترول واحتكارات الدول الكبرى .. ان منطق اسلام الحركة الأولى يظهر من جديد ووقف الاعلام الغربى وتلامذته حائرين متخبطين .. يغمسون اقلامهم في مداد الشيطان ليكتبوا عن آية الله الذى التفت حوله ملايين الجماهير العطشى للحرية والعودة الى الله بينما هم يبحثون كل يوم عن عذر جديد لهذا القس المجنون جيمس جونز صاحب مذبحه جوايانا الامريكية ووقف « الكمبيوتر

الأمريكي عاجز عن فهم علاقة استشهاد الحسين منذ أكثر من ١٣٠٠ عام بسقوط نظام كان يعتبر أكثر النظم العصرية واستنفرار في غرب آسيا » .

ومع اسمرار الثورة وتقدمها فان مفاهيماً جديدة تبرز ومفاهيماً قديمة تختفى ..

● ان الرعب المستمر داخل العقول المريضة من الدول الكبرى وتسليطها وعنفها وتصويرها وكأنها سيف مسلط ضد الاسلام ومستقبله .. هذا الرعب يتساقط الآن وتلك الخيالات تنهار فالدول الكبرى مثلها مثل كل الكائنات على الأرض يمكن ان تخطيء الحساب حتى بالكمبيوتر !

● هذه مرحلة الاسلام ولذا فقد خرجت الجماهير تحت ظله .. ولو لم تكن مرحلته لما خرجت الجماهير بهذا الشكل من أجله .. لقد تساقطت أمام شعوب المنطقة كل الاحتمالات .. ان تجارب مضيئة مع اللبرالية والاشتراكية يعلن الآن فشلها وسقوطها .

● ان المعركة القادمة ستكون بين الاسلام والشيوعية فلم تعد الرأسمالية العالمية تحمي أحداً ولم تعد اطروحات التميع والتردد والوقوف في المابين تصنع تنمية حقيقية ولا شعباً حقيقياً ولا سلطة حقيقية ، ولم تعد أيضاً تحمي تروائنا المنهوبة ان اجيالا تكون الآن في هذه المنطقة أكثر وعياً لحقائق الأمور وهي تقترب أكثر من الاسلام تحت ظل الخطر الشيوعي القادم وينبغي الانسى هنا العلاقة اليهودية بالحركة الشيوعية كما ينبغي ان ننظر بجدية الى احتمال تحول التحالف الاسرائيلي الأمريكي الى تحالف اسرائيلي سوفيتي (خاصة بعد دروس فيتنام وفرموزا وايران) .

ويبقى التساؤل الأخير .. عن احتمال عدم تسليم الحركة الإسلامية للسلطة .. سيكون من الصعب علينا وفتها أن نقول انهم لم يهرموا في المعركة .. بل أن القضاء على الثورة في ايران وبأى شكل وبأى وسيلة يعنى أن الحركة الإسلامية في العالم قد تلفت اقصى الضربات منذ عام ١٩٥٤ .. بل ربما تكون هذه الضربة أفسى وأكثر ايلاما من ضربة ١٩٥٤ .. ولكن هذا لن يعنى أن المسألة الشرقية قد انتهت .. وبالإضافة للمفاهيم الجديدة التي اشرفنا الى أنها برزت يفي الإسلام قادرا على أن يحرك الجماهير ويعيد حقائق القوة في العالم الى اوضاع أخرى ويقرب من السلطة وربما يمسكها .. أن اخطر القضايا ليس فقط في أن كيانا عقائديا متماسكا يبرز للوجود متحدبا سلسلة العقائد المادية المطروحة أمام الإنسان .. ولكن أيضا في أن الوطن الإسلامى قد أصبح أكثر خطورة استراتيجيا واقتصاديا في زمن يطلق عليه زمن الاقتصاد .

ان حدث هذا - لا قدر الله - فالمسلم لا يعرف الهزيمة وسنردد مع الامام الخميني :

((اننا نعرف ان جميع القوى السياسية في العالم تريد تحطيم حركتنا . لكننا نعرف في الوقت نفسه ان مسؤوليتنا الإسلامية والحكم الالهي يفرضان علينا عدم الانسحاق في القلق ، اننا بمنطق صدر الإسلام نتحرك ، فاذا قتلنا فنحن في الجنة .. فاذا هزمنا فنحن في الجنة ، واذا أوقفنا الهزيمة باعداء الإسلام فنحن أيضا في الجنة ومن أجل ذلك لا نخاف الهزيمة ، بل اننا لا نخاف من شيء ، ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم في بعض الفزوات ، اننا نحارب بسيف الله وستستمر الحركة)) ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت
اتخذت بيتاً ، وان أوهن البيوت لبیت العنكبوت ، لو كانوا
يعلمون » ..

صدق الله العظيم

العنكبوت ٤١

« ألا ان رحى الاسلام دائرة ، فدوروا مع الاسلام حيث
دار ألا ان الكتاب والسلطة سيفترقان ، فكونوا مع الكتاب
.. ألا انه سيولى عليكم امراء ، ان اطعتموهم اذلوكم وان
عصيتموهم قتلوكم .. قالوا « ماذا نفعل يا رسول الله ؟
قال « كونوا كأصحاب عيسى ، نشروا بالمناشير ، وحملوا على
الخشب ، فوالذى نفس محمد بيده .. لموتة فى طاعة الله
خير من حياة فى معصيته » ..

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحركة الاسلامية والتحدى

١

هل انتهى عصر الافزام والخصيان الذين طفوا مند
قرن مضى على سطح الزمان العربى والاسلامى ..

هل انتهى الزمان الذى كان احدهم يسمى ابنه (لهب)
حتى يدعو الناس (ابا لهب) .. هل انتهت مرحلة
التجارب التى أنهكت أمتنا وثلث فواها تحت اشراف
الاستعمار ومن أجل ايجاد بدائل عن الاسلام .. التمسناها
فى فكر أعدائنا ..

هل انتهت مرحلة الشعوب التى كانت تخرج بايحاء
الاجهزة والعملاء لتتف ضد مصالحها وترائها وايدولوجيتها
الحقيقية .. هل انتهت مرحلة العسكر الذين يلبسون تيجان
الاباطرة وأحذية الجماهير .. هل انتهت مرحلة المزايم
والشعارات التقدمية التى ضيعت آلاف الكيلو مترات من
أرض أمتنا وروحها .. وهل بدأت الحرب الاسلامية
الكبرى على حد تعبير « البارى ماتش » الفرنسية
(١٢ - ١ - ١٩٧٩) .

٢

فى نهاية الاربعينات وبداية الخمسينات كانت مصر
تموج بحركة عنيفة مضطربة ، وكانت الحركة الاسلامية

ناخذ مكانها الطبيعي في قياده الجماهير وتونسك ان نهر
العرش المهترىء .. وفجأة ففز عبد الناصر الى السلطة ..
ولم تمض سوى سنوات قليلة حتى تمت تصفيه القوى
الاسلامية الوطنية في عملية من اشنع عمليات النصفية في
التاريخ الاسلامى الحديث .. ورغم زعم عبد الناصر - ععب
الانفصال وفي حديث لرئيس تحرير الحوادث اللبنانية -
رغم زعمه بالحاجة الى ثورة ثقافية اسلامية وقوله :

**« بمن سأنفذ هذه الثورة .. ليتنى كنت من رجال
الدين » !**

الا ان الحرب ضد ايديولوجية الأمة والفكر الوحيد
القادر على تعبئتها في معركتها السياسية والاجتماعية قد
استمرت ..

ورحل عبد الناصر تاركاً آلاف الكيلو مترات في أيدي
اعداء هذه الأمة .. وتاركا مصر تئن تحت ثقل أوضاع
اقتصادية متدهورة وديون زادت عن العشرة بليون دولار .

ومن مصر الى الجزائر .. أجاب هواري بومدين على
سؤال عن الذى جعله يقوم بحركته ضد بن بللا رمز الثورة
أجاب عام ١٩٦٦ قائلا : « لم أقدم على تحمل مسؤولية
الحكم الا بعدما رأيت مئات الآلاف من الجزائريين يسبيرون
في جنازة الشيخ البشير الإبراهيمى ، وكأنهم يريدون أن
يعلنوا كفرهم بالجديد الذى جاءهم به بن بللا .. لقد استبد

**الحنين بالناس الى الماضى المحافظ .. وهم يرون ما فعلته
بهم يد الحاضر الثورى » ..**

إذا .. هكذا .. ولكن الواقع الجرائرى يكذب بومدين
.. ويطرح الوجه الآخر للاجابة لقد كانت جنازة آلنسيخ
الابراهيمى فرصة الجماهير التى عبرت فيها عن سخطها
على الشعارات الا اسلامية التى بدأت تطرحها ثورة المليون
شهيد .. لقد كان خروج الجماهير يومها اعلانا عن اصرار
هذا الشعب المسلم على تمسكه باصالته وتراثه .. ومن
هنا كان لا بد من اجهاض هذه المشاعر .. ولهذا جاء
بومدين الذى غاب بعد ثلاثة عشر عاماً تاركاً الجزائر فى
دوامة برامج ينذر مصيرها بما لا يحمد عقباه .. تاركاً بلداً
غنياً وقد ارتفعت ديونته الى ٦ بليون دولار .

وفى السودان الذى كان مهداً للثورة المهدية العظيمة
كان انقلاب ٢٥ مايو (آيار) ١٩٦٩ والذى حمل العسكر الى
السلطة ايداناً ببدء عملية تصفية للحركة الاسلامية على
الطريقة الناصرية وان اثبتت التطورات الأخيرة انهم عبثاً
حاولوا ..

وفى ليبيا حيث بدأت تشيخ الحركة السنوسية التى
حملت على عاتقها راية الجهاد ووقفت ببسالة امام عمليات
الابادة الحضارية التى شنّها الطليان ضد شعب ليبيا
المسلم - وكان من الضرورى أن تتطور الحركة السنوسية

لنستوعب المعطيات الجديدة — كان طبيعياً ان تسلم الراية للحركة الاسلامية التى بدأت تأخذ دورها بين جماهير المسلمين .. وفجأة قفز القذافي للسلطة فى محاولة جديدة من العسكر لاجهاض رياح التغيير القادمة .. وحتى تكتمل المسرحية نودى بالزعيم الجديد .. خليفة للمسلمين .. واميناً للقومية العربية .. وامتألت الصحف الغربية بالحكايات والقصص عن عمر بن الخطاب الجديد .. ولكن لم تمض الا شهور قليلة حتى كان رجال الحركة الاسلامية يزج بهم فى المعتقلات والسجون .. وتم كل هذا باسم الاسلام .. باسم القوانين التى ستقطع يد السارق وتحرم الخمر ، ولكن شاباً مصرياً وقف ليلة المسيرة الليبية الشهيرة — وخلال الحوار الذى دار بين الليبيين والمصريين — ليقرأ من صحيفة فى يده هجوماً على الشكل الاسلامى الجديد فى ليبيا فيقول : « ان الاخوان المسلمين بنفوذهم فى طرابلس كانوا خلف فرض الزكاة وتحريم الخمر ، وقطع يد السارق .. وان هذه القوانين اثبتت فشلها وأن تحريم الخمر اضر بالاقتصاد الليبى وضيع على الليبيين موارد السياحة .. وحول ليبيا الى مسرح لتهريب الخمور ودفع الليبيين الى الهرب من ليبيا الى حيث يسكرون فى الخارج » .

« ان اللجوء الى نبش قوانين كانت تجوز منذ عشرة قرون هو تخلف لا شك فيه » ، « .. ان اصدار هذه القوانين يراد به نفس الوحدة مع مصر .. لانه لا قانون تحريم الخمر ، ولا قانون قطع اليد او الرجم او اى قانون

متخلف من هذا القبيل يمكن أن يسرى في مصر .. » وعندما انتهى الشاب المقال في يده علق أحد الأعضاء الليبيين : هذا كلام أعداء الوحدة والاسلام ..

وهنا فجر الشاب المصري مفاجأته : هذا هو النص الحرفي لمقال كتبه صحفي عربي اشترت له ليبيا امتياز صحيفة ليبر عن الثورة الليبية !!

وهكذا جرت الأمور حتى جاء الزمان الذي يقف فيه القذافي بعد سنوات ليشن هجومه على السنة الحمدية ، ويكتشف بعد أربعة عشر قرناً أن القرآن الكريم لا يتحدث عن المشاكل التي نحكم بها المجتمع (على حد تعبيره) حتى العقوبات في الدنيا محدودة بثلاثة أو أربعة !! ثم يتحدث عن كمال أتاتورك الذي قال عن الاسلام « انه احكام ونظريات شيخ عربي » - والذي ليس من المصادفة ان يكون معبود العسكر في العالم الاسلامي بدءاً بالكولونيل رضا بهلوى والد الشاه الى الكولونيل معمر القذافي يقول في أتاتورك (يوم ٣ يوليو ١٩٧٨ وفي اختتام الحفل الديني الذي اقامته اذاعة القرآن بمناسبة الختمة المائة للمصحف المرتل) يقول العقيد : « عندما جاء أتاتورك وقال : تفصل الدين عن الدولة .. هو مسلم مصطفى كمال أتاتورك ولم يقل أبداً أن تصبح تركيا ملحد .. قال تركيا دولة اسلامية وتبقى اسلامية .. ولكن قال انا عندي طلب واحد ، أريد أن افصل الدين عن الدولة . كيف ؟ تصبح الدولة وضعية

تعالج مشاكلها السياسية والاقتصادية وفقاً للعصر أما الدين
نترك كل واحد يتدين .. يحج .. يصوم .. يصلى بالمسجد
.. يبنى مسجداً ، جاء المنصبون الذين سموا أنفسهم
علماء وقالوا مستحيل هذا كفر .. قال لهم أنا ذاهب الى
قمة الكفر واحضر السيف واعلن الالحد .. آتاتورك مظلوم
اقولها للتاريخ انه مظلوم لأن الجهلاء والسذج المعصبين هم
الذين اجبروه على الكفر .

وكذلك اذا جاء واحد وقال لى الكتاب الاخضر ضد الدين
مثلا .. اتصرف معه مثل آتاتورك » .

وفي باكستان واندونيسيا كان العسكر يظهرون كلما
اوشكت الجماهير الاسلامية ان تنسلم مفاليد امورها
بنفسها .

وفي سورية والعراق وتحت ظل عسكر البعث لازالت
سجون البلدين تمنلىء بالمسلمين فى محاولات يائسة لعزل
الحركة الاسلامية عن جماهيرها .. ولكن كيف بدأ مد
العسكر هذا ؟ !

٣

لقد ادرك الاستعمار من خلال كل معاركه الصليبية مدى
تغلغل عقيدة الاسلام فى نفوس اصحابها ومدى التفاف
المسلمين فى شتى اقطار الارض حول راية القرآن وحول

النظام السياسى الاسلامى الذى تمتل فى الدولة العثمانية فى القرون الاخيرة .. كما أدرك الاستعمار الصليبي انه لن يستطيع مواجهة هذه الوحدة وهذا التيار الذى كان يعلن « انه لا جنسية للمسلمين الا فى دينهم » لن يستطيع مواجهته بجنود ولا بعناد .. حتى أن نابليون عندما دخل مصر فى نهاية القرن الثامن عشر أعد بياناً وجهه للمصريين يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم .. لا اله الا الله ، لا ولد له ولا شريك له فى ملكه .. من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية والسر عسكر الكبير امير الجيوش الفرنسية بوناپرت يعرف اهالى مصر جميعهم أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون فى البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ويظلمون تجارها بأنواع الايذاء والنعدى فحضر الآن ساعة عقوبتهم وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة الممالك من بلاد الابازه والجراكسه يفسدون فى الاقليم الحسن الأحسن الذى لا يوجد فى كرة الأرض كلها ، فأما رب العالمين القادر على كل شىء فقد حكم على أنفشاء دولتهم .

يا أيها المصريون قد قيل لكم اننى ما نزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للمفتريين اننى ما قدمت اليكم الا لأخلص حقكم من يد الظالمين واننى أكثر من الممالك أعبد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيه والقرآن العظيم . « أيها المشايخ والقضاة

والجرجية والأئمة واعيان البلد قولوا لامتكم ان الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون . (في النص الفرنسي : اننا أصدقاء المسلمين الحقيقيين) واثبات ذلك أنهم قد نزلوا في روميه الكبرى وخربوا كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى على محاربة الاسلام .. تم فصدوا جزيرة مالطة وطرّدوا منها الكوالريه الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب مقاتلة المسلمين .. ومع ذلك الفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محيين لحضرة السلطان العثمانى وأعداء أعدائه أدام الله ملكه (!) ومع ذلك ان الممالك امنعوا عن طاعة السلطان غيرممثلين لأمره » .

وفي نهاية البيان « الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة انهم يلزمون وظائفهم وعلى كل واحد من أهالى البلدان أن يبقى في مسكنه مطمئناً ، وكذلك تكون الصلاة قائمة في الجوامع على العادة والمصريون باجمعهم ينبغى أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة الممالك قائلين بصوت عال : أدام الله اجلال السلطان العثمانى .. أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى .. »

ولكن الحملة الفرنسية بالذات هى المرحلة التى يمكن أن نبدأ بها التاريخ لعملية طرح بدائل عن الاسلام في المنطقة . لقد كانت الثورة الفرنسية وقتها تحطم الملكية وتخرج بشعاراتها الجديدة عن الحرية والمساواة لتغزو بها العالم !!

وكان اختبار مصر للاهمية الجغرافية والسياسية الى تتمتع بها في المنطقة .. وتبع الحملة الفرنسية وظهر محمد على خروج البعثات من مصر الى أوروبا لنلقى العلم والمعرفة وحدث وقتها وبعدها ولا زال خلط شديد بين قيم التراث وقيم المعرفة .. بين قيم التراث الباعثة والقادرة على تعبئة الامة .. القادرة على رد التحدى والفعل في آن واحد .. وبين قيم المعرفة المرتبطة بالعلوم الطبيعية والتقدم التكنولوجي والتي يجب ان نتعلمها ونشارك في تطويرها ولكن لا كأيديولوجية بديلة كما طرح بعض الذين ذهبوا الى أوروبا وبهرتهم نظافة الشوارع في لندن وباريس واعتقدوا انه لا يمكن ان ننهل التكنولوجيا الغربية دون ابنية ومؤسسات نقوم على الرؤية الغربية .. اى المناداه بالبرالية كأيديولوجية !

لقد كانت عملية طرح البدائل والتشكيك في الايديولوجية الاسلامية وقدرتها على الاستمرار وحفظ الامة هي محور الصراع الذى بدأ في القرن التاسع عشر واستمر حتى الآن .. وكان هذا مقدمة لتغيير الاوضاع السياسية التى كانت تحتم ارتباط الجماهير المسلمة برمز وحدتها المتمثلة في الدولة العثمانية ولم تثر هذه المحاولة بسهولة فلقد وقفت لها الجماهير تحت قيادة العلماء والمفكرين والثوار المسلمين ، وقفت لها بالمرصاد فهذا عرابى يشور على فساد الحكم في مصر وعلى الانجليز دون أن يخطر في باله ان يخلع طاعة الخليفة أو يخرج عليه فهو يعرض عليه خطواته مستمداً منه السلطة في كل ما يفعل كما تروى مذكراته .

وهذا الامام محمد عبده يقول اتناء افامته في بيروت عام ١٨٨٦ « ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية نائشة المقائد بعد الايمان بالله ورسوله ، فانها وحدها الحافظة لسلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته وليس للدين سلطان في سواها وأنا على هذه العقيدة والحمد لله ، عليها نجيا وعليها نموت » . .

وما هو يؤكد في حديث له لرشيد رضا بعد انتصار الترك في حرب اليونان عام ١٨٩٧ « ان كثيراً من وجهاء المصريين يكرهون الدولة العثمانية ويذمونها وان كان أكثرهم يحبها ، وأنا أيضا أكره السلطان . . ولكن لا يوجد مسلم يريد بالدولة سوءاً فانها سياج في الجملة واذا سقط نبقي نحن المسلمين كاليهود بل أقل من اليهود فان اليهود عندهم شيء يحافظون عليه ويحفظون به مصالحهم وجامعتهم وهو المال ونحن لم يبق عندنا شيء فقدنا كل شيء » .

وهذا مصطفى كامل احد زعماء الحركة الوطنية في مصر يقول في خطبة له عام ١٩٠٠ ان الدين والوطنية توأمان متلازمان ويجب على سؤال الأمير (لاي بارنج) « شقيق كرومر » عن جنسيته بقوله : « انا مصري عثمانى » ولكن عملية اجبار المسلمين على التخلي عن الاسلام كأيدولوجية وعن الدولة العثمانية كرمز للوحدة الاسلامية استمرت بكل شراسة ، فهذا احد كتاب فرنسا يرى أنه لا حل للمسألة الاسلامية الا بالقضاء على المسلمين ونبتس قبر الرسول الكريم ونقل عظامه الى متحف اللوفر بباريس .

وهذا (جلادستون) زعيم حزب الاحرار البريطانى يعلن انه لن يقر للانجليز قرار فى مصر الا بعد ان يحرقوا القرآن فى قلوب المصريين ويشير الى السلطان عبد الحميد مره بقوله « عدو المسيح » واخرى « الشيطان » . وهذا البريطانى (بلانت) يقول فى كتابه « مستقبل الاسلام » :

« ان هدم السلطنة العثمانية لا يضر المسلمين ، بل ان هذا العقد العثمانى ينثر ليعود عقداً عربياً أحسن وأجمل » وفى كلمة (بلانت) الاخرى اشارة واضحة الى أن الاستعمار كان وراء طرح العروبة فى مقابل الاسلام كبديل مرحلى أقل خطراً على الاستعمار فضلاً على ما فى هذا الطرح من طعن فى فكرة الوحدة الاسلامية وتقويض للدولة العثمانية تحت ستار العروبة وذلك حتى يسهل عليهم تقسيم المنطقة بينهم بالاضافة لما سيؤديه هذا الطرح من حصر الحركة العربية بعد ذلك فى آسيا لانه لم يكن سهلاً أن تفصل العروبة عن الاسلام فى أفريقيا العربية .

وكى يتحقق هذا المخطط بدأ الاستعمار يربى تلامذته بارسالهم فى بعثات الى أوروبا أو عن طريق الارساليات والمبشرين والمدارس والصحف التى كانوا يمولونها ويشرف عليها عملاؤهم .

ولقد توج هذا النشاط والمد الاستعمارى بالثورة العربية الكبرى التى خطط لها الانجليز ونفذوها على أعين

العرب وبأيديهم . هذه الثورة الى كانت اسفنيا في جسد دولة الاسلام . واذا كانت الأمور بخواتيمها فان تاريخ هذه الأمة لن يرحم هؤلاء الذين رفعوا سلاح اعدائهم في وجه اخوتهم حتى وان تعللوا بما تعلل به الأمير على بن الحسين عندما قال : « لم تكن سوى بداية بسطاء .. لم يسبق لنا قبل الثورة أن دخلنا في الحياة الدولية أو عاملنا الأجانب أو اتصالنا بهم من قريب أو بعيد ولقد جاءنا الانجليز الى الحجاز .. ولم نذهب اليهم .. جاءونا بورقة بيضاء في ذيلها ختم الامبراطورية .. وقالوا لنا هذه ورقة رسمية فاكتبوا فيها ماتشاءون ونحن مستعدون للتنفيذ والتلبية فصدقناهم ووثقنا بهم وقائلنا في جانبهم ولكنهم ما لبثوا أن خانونا وغدروا بنا » وكذلك ما رواه امين سعيد في كتابه « اسرار الثورة العربية ومأساة الشريف حسين » عن قائد الثورة « انه لم يعيش بعد وصوله الى الأردن سوى بضعة أيام كان خلالها فاقد الوعي والشعور وكان ينادى ويقول : هذا جزء الذين يثقون بالانجليز ويصادقونهم ويعملون معهم » .

ان التاريخ لن يرحم بل وسيزدرى كل من يحاول ان يتبع تكتيكا أو استراتيجية منفصلة عن ايدولوجية امته سواء اكان الشريف حسين أو طابور الزعماء والقادة الذين ما فتئوا يتناوبون قيادة هذه الأمة واغتصاب السلطة فيها . وسقطت دولة الخلافة وعسكرت الجيوش الصليبية في بلادنا ولكن الاستعمار الذي يعرف أنه لا مقام لجيوشه في بلاد الاسلام بدا يقسم هذه المنطقة ويسلمها لاعدائه وتلامذته

الذين صنعهم على عينه ، فالخوف من خطر البعث الاسلامى والنوره الاسلاميه ظل يفلقهم ويرعبهم كما بفى ماتلا فى مخططاتهم وحساباتهم فرغم كل جهودهم الا أن الجماهير والحركات الاسلاميه بغيت مركز الجذب فى المنطقه بمواقفها البطولية ضد الاستعمار سواء قبل سقوط دولة الخلافة أو بعد سقوطها بدءا من نوره المهدي الاسلاميه فى السودان التى لو قدر لها الحياة لتغير وجه أفريقيا والمشرق العربى وانتهاء بثورة ايران الاخيرة تحت زعامة القائد الاسلامى آية الله الخمينى مرورا بالزعيم الثائر جمال الدين الأفغانى الذى وقف للاستعمار بالمرصاد وطارده فى كل مكان وكان أباً روحياً لكثير من المفكرين والدعاة والحركات الاسلاميه .

وكذلك الثورات الاسلاميه المتواصلة فى الجزائر بقيادة عبد القادر الجزائرى وابن باديس وجمعية العلماء الامر الذى جعل الميثاق الوطنى الجزائرى وهو الميثاق العلمانى يقر لها بهذا الدور الهام معتبراً أن الاسلام كان الحصن المنيع الذى مكن الجزائريين من الصمود فى وجه جميع محاولات النيل من شخصيتها ، فقد تحصن الشعب الجزائرى بالاسلام دين النضال والصرامة والعدل والمساواة واحتمى به فى احلك عهود السيطرة الاستعمارية واستمد منه تلك الطاقة المعنوية والقوة الروحية التى حفظته من الاستسلام لليأس وأتاحت له أسباب الانتصار « .

وفى المغرب قام المجاهد عبد الكريم الخطابى الذى هزم

الجيوش الاسبانية وواجه جيشاً فرنسياً جراراً استترك فيه الاسطول والطيران على خط قتال امتد ٤٥٠ ميلاً .

وفي ليبيا كان للحركة السنوسية والمجاهد عمر المختار دور هام في مقاومة الطليان الذين جاءوا بما يقارب المائة ألف جندي لآبادة الشعب الليبي المسلم .

وفي فلسطين قاد الشيخ عز الدين القسام الذي كان تلميذاً للشيخ محمد عبده ثورة ضد الانجليز حتى استشهد فاستمرت بعده بلا انقطاع ، وفي عام ١٩٤٨ خاض الاخوان المسلمون قتالاً مشرفاً اذهل الجميع وكشف عن خطورة هذه الجماعة المؤمنة على مصالح الاستعمار والصهيونية .

ولكن الاستعمار حاول عزل كل هذه الثورات والحركات الاسلامية وقاد مع اعوانه وتلاميذ تيار التفريب حملة مضادة افتتحها فرح انطون بكتابه عن ابن رشد وفلسفته (١٩٠٢) هذا الكتاب الذي كان نسخة مشوهة عن كتاب المفكر الفرنسي « ارنست رنيان » عن « ابن رشد والرشدية » (١٨٥٢) ثم تبعه على عبد الرازق الذي طالب في كتابه « الاسلام واصول الحكم » بفصل الدين عن الدولة مقتدياً بما فعله الاوربيون متناسياً او متجاهلاً بأن الصدام الذي حدث في أوروبا مرفوض وليس منطقياً حدوثه في مجتمعنا الاسلامي لأسباب عديدة لا مجال هنا لمناقشتها

وان كان يكفى أن تُسبر الى أن الصراع الذى نتسأ بين الكنيسة التى تحمل وجهة النظر المسيحية فى العزوف عن الحياة والسعى وراء الكسب وبين البرجوازية الصاعدة لم يكن بالامكان حدوثه هنا فالاسلام بالاضافة لكونه جاء بتنظيم اكثر شمولاً فى كل جوانب الحياة الانسانية فانه لم يطالب اتباعه الا بأن يكونوا أكثر فعالية فى الجانب الدنيوى ، الشيء الذى سيشبع رغبات ويحقق طموح أى قوة صاعدة فاعله .

تم كان أحمد لطفى السيد الذى دعا الى « تجنيس » الاجانب فى مصر فى وقت كان هؤلاء يسيطرون على الحياة الاقتصادية تقريباً وكأنه يدعو أن يمتد هذا الأثر الاقتصادى الى الحياة السياسية . وطه حسين الذى دعا فى كتابه « مستقبل الثقافة » الى اذابة الأمة المصرية فى الحضارة الأوروبية « خيرها وشرها ، حلوها ومرها ما يحب منها وما يكره ، ما يحمد وما يعاب » على حد تعبيره وهذا أخيراً لويس عوض فى اهرام ٧ - ابريل - ١٩٧٨ يعتب علينا اننا علمنا أبناءنا تاريخ طارق وصقر قريش وصلاح الدين اكثر مما علمناهم تاريخ على بك الكبير ومحمد على والخديوى اسماعيل .. »

وعلى حين كانت هذه الأفكار الليبرالية تشق طريقها فى اوساط رجال الفكر والأدب كان الوجه الآخر للعملة هو وصول الأنظمة الليبرالية الى سدة الحكم كأول بديل منظم عن الاسلام ولكن هذه الأنظمة التى لم تستعر من الليبرالية

الفريبة الا شكلها - ويبدو أنه لم يكن باستطاعتها غير ذلك -
سرعان ما أعلنت عجزها عن الاستمرار في مزاعمها حفظ هذه
الامة وتدعيم مسيرتها الوطنية وجاءت هزيمة ١٩٤٨ لتعلن :

١ - عدم وعى الانظمة الليبرالية لطبيعة الصراع .

٢ - عدم قدرتها على المواجهة مع العدو للنهاية .

٣ - عجزها عن تحقيق التحديث ضمن استقلال وطنى
حقيقى . هذا فضلا عن :

٤ - عدم اصالتها وطروئها على المجتمع الاسلامى ..
ولكن تيار العلمانية والغريب لم يياس بهزيمة الليبرالية
وحاول انقاذ نفسه وقطع طريق العودة على الحل الاسلامى
الذى لاح فى الأفق فطفت ظاهرة الانقلابات العسكرية التى
كان لاجهزة المخابرات الامريكية دور الأسد فيها وبدأت
ما سميت بالاشتراكيات الثورية تأخذ دورها كبديل جديد
واذا كانت الأنظمة الليبرالية قد مارست دورها عن طريق
وضع العوائق أمام الحركة الاسلامية ومحاولة اضعافها
بالغزو والقهر الفكرى احياناً وبالعزل السياسى احياناً
أخرى فقد مارست الأنظمة الاشتراكية العسكرية دورها عن
طريق التصفية الجسدية للحركة الاسلامية فضلاً عن القهر
الفكرى والعزل السياسى ، وكان الاشتراكيون والفوضويون
يعاملون الحركة الاسلامية كخصوم سياسيين (بل ودون
ذلك بكثير) لا كخصوم ايديولوجيين ، لانهم - كأحد الأسباب

ففظ - يدركون أن المعركة بوجهها الثائي تعنى سقوط
الاقنعة ولسنا هنا بصدد تقييم التجربة الاشتراكية التي
سرعان ما جاءت هزيمة ١٩٦٧ لتعلن ما سبق أن اعلنته
هزيمة ١٩٤٨ في المواجهة الكبرى بين الأمة العربية والاسلامية
وبين الاستعمار الجديد والصهيونية في الحملة الصليبية
العاشرة التي بدأت عام ١٩٤٨ ولا زالت نارها تستعر .

ورغم أن شهادة الوفاة قد وقعت للانظمة الاشتراكية
العسكرية أو التورية أو الفوضوية (سمها ما شئت) كما
وقع لتسقيقتهما الاخرى في تيار التعذيب « الليبرالية » رغم
توقيع شهادة الوفاة الا انه يبدو أن الدفن لم يتم بعد ..
في محاولة يائسة لاعادة الحياة للجثث التي زكمت رائحتها
الانوف ، وكما مضت سنة التاريخ على الشاه الذي حاول
كأحد معاقل الليبرالية ان يستعصى على الدفن فانها ستمضي
على الآخرين وسينتهى الزمان الذي تنشر فيه مجلة
كمجلة « جيش الشعب » السورية مقالا تعلن فيه موت الله
(تعالى عما يقولون علواً كبيراً) وذلك عشية الهجوم
الاسرائيلي على الجولان .. كما سينتهى الزمان الذي
يستغرق الكفاح ضد الصهيونية مناضلا عربيا ينتمي الى
منظمة ثورية يستشهد شبابها المسلم كل يوم بينما هو

يكتب لنا عن محنة ابليس في القرآن « صادق جلال العظم في نقد الفكر الديني » . كما ستنتفى أصوات كهذا النشاز الذي صدر في الذكرى السادسة لنكبة ١٩٦٧ (ربما بالصدفة) عن دار العودة للماركسي العراقي هادي العلوي (في الدين والتراث) ليعلن بكل وقاحة « مبدئياً ليس بين الاسلام والاستعمار تناقض فالاستعمار لا يحارب الأديان لأنها أصلاً لا تحاربه والاسلام كعقيدة لا شأن له بالاستعمار » ويصبح مرة أخرى « ان الايديولوجية الثورية تتعارض في جوهرها مع الدين وليس للدين بدوره أن يقدم أى مساهمة في كفاحنا الحالي ضد الاستعمار والامبريالية » .

هل قرا هذا (المناضل) تاريخ امه ! أم أنه كمناضل توري لا يجوز له النظر الى الوراء .. ان كان كذلك فان في كفاحنا الحالي ضد الاستعمار والامبريالية .

وثقة مع الحركة والثورة الاسلامية

في الوقت الذي كان فيه التحدي الغربي الحديث يخرق حدود بلادنا محاولاً تنحية الايديولوجية الاسلامية عن القيادة ومحاولاً طرح بدائله ظهرت الحركة الاسلامية كرد فعل طبيعي لهذا الغزو ولسقوط الخلافة وكان لظهورها في العشرينات كتيار اجتماعي فعال في المجتمع الاسلامي اثره الكبير فقد بدأت خطوات جادة على طريق البعث الاسلامي ، لاعادة الامة المسلمة الى الوجود والتأثير الدولي مرة أخرى ،

فنجحت الى حد كبير في ارجاع التوازن النفسى للمجتمع الاسلامى وادت دورها في عملية التصفية النفسية للفرد وللمجتمع الاسلامى ليتخلص من عقدة النقص تجاه التحديات القادمة وقد عبر **الفكر الاسلامى توفيق الطيب** في كتيبه (**ما بعد النكبتين**) الذى صدر عام ١٩٦٨ - والذي يعد من اهم الأوراق الاسلامية التى صدرت بعد نكبة ١٩٦٧ - عبر فيه عن المأمول من هذا الدور قائلاً : لم يعد هناك عذر لمثقف مسلم بعد اليوم أن يطالع كتاباً أوروبياً مفنوياً بل دارساً وناقداً ، ولا يقف أمام لوحة لا يفهمها معجباً بل متأملاً ومتذوقاً ولا أن يقف أمام آلة مبهوراً بل متعلماً ومسيطرأ أو معطلا وربما يصبح يوماً معلماً أو كما يريدہ القرآن الكريم شاهداً » .

ولقد نمت الحركة الاسلامية التى خرجت من وسط وبدعم الجماهير الشعبية بطريقة ادهشت المراقبين مؤكدة ما جاء في كتاب Whither Islam الذى كتبه جماعة من المستشرقين باشراف مستشار الخارجية البريطانية هـ . ا . جيب . « ان الحركات الاسلامية تنشأ بسرعة مذهلة تدعو الى الدهشة .. فهى تنفجر انفجاراً مفاجئاً وقبل أن يتبين المراقبون من اماراتها ما يدعوههم الى الاسترابه في أمرها .. فالحركات الاسلامية لا ينقصها الا وجود الزعامة .. لا ينقصها الا ظهور صلاح الدين » .

ولقد استطاعت حركة كحركة الاخوان المسلمين مثلاً أن تكون اكبر تجمع جماهيرى فقد دخلت قرى مصر ومدنها

ودخلت الجيش والجامعات ، وكان السر في هذا التجمع الجماهيري على حد تعبير ماركسي مصرى - كتب بدون حس محايد أو موضوعي مقدمة تحليلية لترجمة كتاب ريتشارد ميتشل عن الاخوان المسلمين - كتب يقول « أنهم انطلقوا من ايدولوجية قادرة على جذب أوسع الجماهير » ثم « أنهم أثبتوا في التنظيم المحكم والقوى والفعال مهارتهم حتى أنهم سحبوا من خصومهم التقليديين - الشيوعيين - شعاراً من أهم شعاراتهم الكلاسيكية وهو شعار التنظيم الحديدي فطبقوه بينما ظل عند الآخرين في الأغلب الأعم مجرد شعار » .

والثورة الاسلامية في انبعاثها كانت تسعى لتوحيد المسلم مع شخصيته ونظريته ورفض الجاهلية القائمة والطواغيت الذين صنعوا التناقض والأزمة في حياة الفرد والمجتمع الاسلامى الذى يحمل ايدولوجية ويرى واقعاً مغايراً تماماً .. واقع الظلم واللامساواة .. والعملية التفسيرية التى سيتم بها التوحيد تنتظم في فضيتين هما وجهان لنفس العملة فالإيدولوجية الاسلامية كمنهج ربانى واقعى أخلاقى ايجابى وعالمى تتضمن حلولاً لكل مشاكل المجتمع المعاصر ولكن هذه الحلول ستبقى ثروة مثقفين يلوكونها في لحظات من النشوة ما لم تتسلح بها الجماهير وتتحرك لتطبيقها وتناضل في سبيلها وتخوض الصراعات السياسية من أجل ذلك ، وقد يتصور البعض كما تصور شاه ايران وغيره من ان هذه المشاكل يمكن حلها في المجتمع الاسلامى

بمجرد تحقيق الشروط الموضوعية للحل أو بعضها فقط (المال والتكنولوجيا العربية) دون الأخذ في الاعتبار الشروط الذاتية هذه الشروط التي ترى فيها النورة الاسلامية وترى في استيعابها الجناح الآخر مع الشروط الموضوعية لتحقيق النهضة ، وهذا الشرط الذاتي الذي نقصد من تحقيقه هنا تعبئة الجماهير في أى معركة سواء معارك التنمية أو الجهاد العسكرى لن يتحقق الا من خلال البعث الاسلامى للامة ونفض غبار تيارات الغريب والقضاء على ظواهر الازدواجية والتلفيق والانفصام .

وهنا يبرز الوجه الآخر للعملة وهو كيفية الصياغة الثورية للفكر الاسلامى ، الصياغة التى تستطيع الحركة الاسلامية بها ومن خلالها اقامة الجسور القوية مع الجماهير المسلمة بحيث تدرك هذه الجماهير معنى ارتباطها بالحركة الاسلامية ودور هذا الارتباط فى الحفاظ على تاريخها وتراثها ومصالحها وبحيث يصبح الجسد الاسلامى جسدا وحدا اذ اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى كما حدثنا الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام ..

وعملية الصياغة التى يبدو أن الحركة الاسلامية فى ايران قد نجحت فيها كما سيتبين من الفصل القادم وبقية الفصول تحتاج الى اعتماد الحوار الداخلى والنقد - والنقد الذاتى خطوة أولى على الطريق - ذلك الحوار الذى ربما عطلته حتى الآن الحساسية الشديدة لدى الحركة الاسلامية

تجاه النقد والذي ربما يكمن سرها في أن الاباطيل والاكاذيب التي اشيعت عنها كانت أكبر من أن تحتمل بدون رد فعل بل كانت من الكثافة بحيث تكفى فعلا لعزل هذه الحركة عن جماهير المسلمين خاصة وقد توفر لهذا الجو من الأكاذيب شرطين هامين :

١ - غياب الحركة الاسلامية عن الساحة وصممتها القسرى نتيجة لعملية الاعتقال والتصفية .

٢ - فقدان العقل العربى والمسلم فى مرحلة تعدد الألوان ومرحلة التمويه والارهاب للحاسة النقدية هذا الافتقاد الذى ضرب الوعي الاجتماعى للامة فى الصميم فشله عن الرؤية الصحيحة ولو مرحليا وربما كان من أرخص هذه الأكاذيب واخبثها ما لفقته رفعت السعيد فى كتابه عن الامام حسن البنا (مكتبة مدبولى - ١٩٧٧) والذي أهداه الى كل من يعمل من أجل عصر تنوير جديد لمصر ويصد عنها غارات التتار الجدد - مالفقه على لسان الامام النبهيد فى موضوع الثورى مشيراً ببجاجة الى أن ما نقله موجود فى رسالة - مشكلاتنا فى ضوء النظام الاسلامى ص ٦٠ راجع صفحة ٩٢ فى كتاب السعيد وقابله على رسالة الاستاذ البنا) لتدرك أى تنوير يطالب به هؤلاء ومن هم التتار الجدد ورغم ذلك فأننى اكرر أن هذه الحساسية يجب أن لا تقف حائلا دون المطلب الأول والاساسى داخل الحركة الا وهو الحوار الداخلى المسموع والنقد الذاتى وهذا سيقود

بالتأكيد الى تهئية الجو ، لتفديم الدراسات العلمية التحليلية
 للواقع الذى جاءت الحركة لتغيره . كما سيحقق مطلباً
 ضرورياً آخر وهو ايجاد تصور اسلامى عن المشاكل
 الرئيسية فى العالم الاسلامى وطبيعتها وألوياتها تم برنامج
 موحد للعمل يبدأ من تحديد المنطلقات والوسائل وبفهم
 العلاقة الجدلية بينها ثم تحديد الأهداف النهائية للحركة
 والأهداف المباشرة والغير مباشرة .

الفصل الثانى

الامام الخمينى . . الفكر والمناضل

فى فصل قادم سنتكلم عن أصول الفكر الشيعى وكيف ظهر ، كما سنتحدث فى فصل آخر عن تنظيمات الحركة الاسلامية فى ايران ودورها . أما فى هذا الفصل فسنعرض لفكر الحركة الاسلامية من خلال فكر قائدها الامام آية الله الخمينى هذا الزعيم الذى بدأ اسمه يطرق اسماع المسلمين والعالم منذ بداية الستينات كرمز وملهم وقائد للثورة الاسلامية فى ايران والتي أصبحت نموذجاً عظيماً وفريداً فى تاريخ الثورات الانسانية . . ومنذ بداية حياته كان الامام طالباً واسع الطموح الى العلم متميزاً بالورع والتقوى والزهد وقد بدأ يظهر فى الأوساط العامة والشعبية منذ الأربعينات من خلال حلقات التدريس فى المدرسة الفيضية فى مدينة « قم » حيث التف حوله آلاف الطلبة . . الذين لم يشغل نفسه باصطناعهم كدراويش ومريدين بل أعدهم كقواعد للاحتجاج والثورة .

وفى اثناء أزمة البترول وحكومة مصدق (١٩٥١) كان الامام الخمينى قريباً من الزعيم الاسلامى الكبير آية الله الكاشانى « وآية الله الكاشانى هو الرجل الذى دوى صوته

في جميع انحاء الدنيا - « ايها الكلاب الانجليز .. اتركوا لنا
بترونا وأخرجوا من بلادنا » وهو الذي كان الدعامة
الروحية لثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ١٩٤١ وكان
مع الكيلاني والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين يشكلون
ثالثاً يحكم بغداد في تلك الأيام وعندما فشلت الثورة
صحب الكيلاني والحسيني معه الى ايران .

ولقد بلغ من قوة الرجل أنه عندما اغتال الفدائي المسلم
« خليل طهمسبي » عضو منظمة « فدائيات اسلام » (رزم
أراه) رئيس الوزراء الايراني أن أصدر آية الله الكاشاني
بياناً قال فيه « ان الرصاصات التي أردت رزم أراه قتيلاً ،
كانت رصاصات مباركة مصحوبة بتوفيق الله » ثم وجه
رسالة مثيرة الى الشاه يقول فيها :

« هو العزيز

يا ابن بهلوى

يجب أن تعتذر لخليل طهمسبي عما لحقه من عناء من
جاء القبض عليه ويجب أن تطلق سراحه بشرف وكرامة
قبل أن تمر ثلاثة أيام والا فان جميع المسؤولين عن القبض
عليه سينزل بهم نفس العقاب الذي نزل « برزم أراه » ،
يجب أن تطلق سراح رجلنا المقدس خلال هذه الأيام الثلاثة ،
ان لم تفعل هذا فأنت تقترب من الجحيم خطوة خطوة » .

والكاشاني هو الذي بفي وراء مصدق يدعمه حتى
اوصله الى السلطة ، وقصة المظاهرة الضخمة التي قادها
في ايران يوم أن أحيط منزل آية الله الكاشاني بسياج من
رجال الأمن لمنعه من القيام بتلك المظاهرة التي ستدعم
مصدق . يومها نظر آية الله الكاشاني الى ولده السيد
محمد كاشاني قائلا : **ها تروا الكفن** وجاءوه بالقماش الذي
أعده لكفنه فلف نفسه فيه ثم تحرك بين اتباعه خارج المنزل
المطوق برجال الأمن المدججين بالسلاح ووقف الجميع
مشدوهين بلا حراك امام هذا الكفن الذي يمتدى على قدمين
ونسى رجال الأمن مهمتهم امام جلال وهيبة الموقف . ومر
آية الله الكاشاني وسرى النبأ في طهران لتخرج أكبر مظاهرة
شعبية في تاريخ ايران حتى ذلك الوقت .

وقبل أن نعود مرة أخرى الى الامام الخميني نشير
الى ما ذكره الكاتب الأمريكي روبر جاكسون في كتابه عن
حسن البنا « ولو طال عمر هذا الرجل (الامام البنا) لكان
يمكن أن يتحقق الكثير لهذه البلاد ، خاصة لو اتفق حسن
البنا وآية الله الكاشاني الزعيم الايراني على أن يزيل الخلاف
بين الشيعة والسنة ، ولقد التقى الرجلان في الحجاز عام
١٩٤٨ ، ويبدو أنهما تفاهما ووصلا الى نقطة رئيسية لولا
أن عوجل حسن البنا بالاغتيال » هذه الاشارة تدل على
ضرورة وأهمية وخطورة مثل هذا التقارب بين الكاشاني
والبنا في الماضي وما هو مطلوب من تقارب بين الخميني
وبقية الحركات الاسلامية في العالم الآن وعلق أحد اتباع

الامام البنا على حديث جاكسون قائلاً « فما باله لو ادرك
عن قرب دوره في هذا المجال (التقريب) .. مما لا يتسع
لذكره المقام » .

ولقد كان الامام الخميني من موقع المغرب من آية الله
الكاشاني يراقب ويشارك في كل ما يجري من أحداث هامة
معداً نفسه للمهمات التاريخية القادمة وعندما أعلن شاه
ايران « الثورة البيضاء » قاوم الامام الخميني الشاه بكل
قوة ونشاط ليكشف زيف هذه الثورة منطلقاً من قناعته
بأن السلطة الايرانية مرتبطة اساساً بالاستعمار وتابعة له
وهي بالتالي تصدر في حركتها عن أوامر وتوجيهات
الاستعمار وقاد وقتها انتفاضة الجماهير الشعبية
٥ - ٦ - ١٩٦٣ .. التي قدم فيها الشعب المسلم آلاف
الشهداء الذين سقطوا برصاص الشاه والتقى الشاه وقتها
بالخميني الذي اسمعه كلاماً قاسياً لم يتحمله كبرياء الشاه
فخرج الأخير غاضباً طالباً من مدير أمنه أن يأخذوا الامام الى
تركيا حيث بقى هناك حوالي عام انتقل بعدها الى النجف
الاشراف في العراق .

٢

هذا ويعتبر جمهور وعلماء الشيعة أن الزعامة العليا
لهم مقسمة بين الامام آية الله الخميني الذي يتبعه اغلب
المسلمين الشيعة في ايران والباكستان والهند وأفغانستان
وبين المرجع الديني السيد أبو القاسم الخوئي الموجود في

العراق .. ويمثل الامام الخميني التيار المتحرك الذي يريد اعادة الحياة للدين الاسلامي كأيدولوجية تعالج جميع جوانب الحياة وذلك عن طريق اقامة الحكومة الاسلامية بينما يمثل السيد أبو القاسم الخوئي اتجاها تقليدياً يحاول الابتعاد عن المعارك السياسية .

وينطلق الامام الخميني من فهمه الاسلام بمعناه الشمولي الثوري « الاسلام هو دين المجاهدين الذين يريدون الحق والعدل . دين الذين يطالبون بالحرية والاستقلال والذين لا يريدون أن يجعلوا للكافرين على المؤمنين سبيلاً » .. (كتاب الحكومة الاسلامية - ١٣٨٩ هـ - ص ٨) ويهاجم التصور الذي حاول الاستعمار ادخاله الى بلادنا اثناء عملية الغزو الفكري والعسكري والقائل بأنه لا علاقة للاسلام بتنظيم الحياة والمجتمع ، وبأنه فقط الحيض والنفاس ، وقد تكون له اخلاقيات ولكنه لا يملك بعد ذلك من أمر الحياة وتنظيم المجتمع شيئاً « ويعتقد أن هذا التصور قد جاء من خلال النشاط الاستعماري الذي برز منذ ثلاثة قرون لأن أكبر ما يمنعهم من نيل مآربهم ويضع خططهم السياسية على شفا جرف هار » هو الاسلام باحكامه وعقائده وبما يملك الناس به من ايمان .

ويهاجم بسخرية وبشدة من أسماهم « المتظاهرين بالقداسة الهلواء » من رجال الدين الذين يصورون الاسلام نظاماً روحانياً لا علاقة له بالسياسة والشئون الاجتماعية

طالباً اعتبارهم أعداء من الداخل « لأن هؤلاء لا يهتمون بما
يجرى ويحولون بين العلماء الحقيقيين وبين تسلّم السلطة
والأخذ بزمام الأمور ، هؤلاء يوجهون أكبر لطمّة للإسلام .»
ص ١٤٠ - الحكومة الإسلامية - وهو يطالب بتطهير المراكز
الدينية من فقهاء ووعاظ السلاطين كما اسماهم ، ورفضهم
قائلاً : « هؤلاء ليسوا بفقهاء . . وقسم منهم قد البستهم
دوائر الأمن والاستخبارات العمائم لكي يدعو الله للسلطان
ويستنزّلوا عليه بركاته ورحماته » « هؤلاء يجب فضحهم
لأنهم أعداء الإسلام ، يجب على المجتمع أن ينبذهم ففي نبذهم
واحتقارهم نصر للإسلام ولقضية المسلمين ، يجب على
شبابنا وبنائنا انتزاع عمائم هؤلاء من فوق رؤوسهم . . .
لا أقول اقتلوا . . هؤلاء فلتنزع عنهم عمائمهم على الأقل
(صفحة ١٤٣ - الحكومة الإسلامية) .

كما يقول في بيان أصدره بتاريخ ٢١ - شعبان - من
العام الماضي « يجب أن يدعو أئمة الجماعة المحترمون خطباء
مؤمنين وحريصين على الحركة الإسلامية وذوى الأهداف
السامية لكي يتحملوا مسؤولية توعية الناس وعليهم أن
يتجنبوا بشدة دعوة « وعاظ السلاطين » والأشخاص الذين
يحمون مصالح النظام بعلم أو بدون علم بانتخابهم موضوعات
تلهى الشعب عن القضايا الرئيسية المعاصرة » .

ويقف الامام آية الله الخميني موقفاً اسلامياً وثورياً
ورائعاً عندما يقف في وجه بعض الشيعة الذين يجلسون في

انتظار المهدي ليقوم حكم الاسلام وليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً وقول البعض منهم : انه ينبغي اتساع المعاصي كي يظهر المهدي بمعنى ان الفواحش اذا لم تنتشر فان المهدي لن يظهر . يرد على هؤلاء قائلاً : « قد مر على الفبيّة الكبرى لامامنا المهدي أكثر من ألف عام وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقتضى المصلحة قدوم الامام المنتظر ، في طول هذه المدة المديدة . . هل تبقى أحكام الاسلام معطلة ؟ يعمل الناس في خلالها ما يشاءون ؟ ألا يلزم من ذلك الهرج والمرج ؟ القوانين التي صدع بها نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم وجهد في نشرها وبيانها وتنفيذها طيلة ثلاثة وعشرين عاماً ، هل كان كل ذلك لمدة محدودة ؟ هل حدد الله عمر الشريعة بمئتي عام مثلاً ؟ هل ينبغي أن يخسر الاسلام من بعد الفبيّة الصغرى كل شيء ؟ الذهاب الى هذا الرأي أسوأ في نظري من الاعتقاد بأن الاسلام منسوخ .

فلا يستطيع أحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول انه لا يجب الدفاع عن ثغور الوطن أو انه يجوز الامتناع عن دفع الزكاة والخمس وغيرها أو يقول بتعطيل القانون الجزائي في الاسلام - وتجميد الأخذ بالقصاص والديات . اذن فان أكل من يتظاهر بالرأى القائل بعدم ضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية فهو ينكر ضرورة تنفيذ الاحكام الاسلامية ويدعو الى تعطيلها وتجميدها وهو ينكر بالتالي شمول وخلود الدين الاسلامي الخنيف » ص ٢٦ من المرجع السابق .

ويتجاوز الامام الخميني الكثير من التفسيرات الشيعية
 للامامة معتبراً أن العلم بالقانون والعدالة هي اهم اركان
 الامامة ويقول « فرأى الشيعة في من يحق له أن يلي الناس
 معروف منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى زمان
 الغيبة فالامام عندهم فاضل عالم بالأحكام والقوانين وعادل
 في انفاذها لا تأخذه في الله لومة لائم » ص ٤٧ . ويقول
 ص ١٩ « الخليفة ليس مبلغ قوانين أو مشرعاً انما الخليفة
 يراد للتنفيذ » وفي ص ٢٨ « فالقرآن المجيد والسنة الشريفة
 يحتويان على جميع الأحكام والأنظمة التي تسعد البشر
 وتنحو به نحو الكمال » وعن وحدة المسلمين يرى الامام
 الخميني ضرورة وحدة البلاد الاسلامية التي جزاها
 الاستعمار وحول اهلها الى شعوب وينظر للدولة العثمانية
 كدولة موحدة حاربها الاستعمار « عند ظهور الدولة
 العثمانية كدولة موحدة سعى المستعمرون الى تفكيكها ،
 ولقد تحالف الروس والانجليز وحلفاؤهم وحاربوا العثمانيين
 ثم تقاسموا الغنائم كما تعلمون » وهو وان ينتقد أكثر حكام
 العثمانيين الا انه يرى ان الاستعمار كان يخشى من وصول
 بعض ذوى الاصلاح الى منصة القيادة « فيسدد كل آمال
 الاستعماريين واحلامهم ، لهذا السبب ما لبثت الحرب
 العالمية الاولى ان انتهت حتى قسموا البلاد الى دويلات
 كثيرة وجعلوا على كل دويلة منها عميلاً لهم ٠٠ » ص ٣٤ ،
 . ٣٥

وهذا الموقف يذكرنا بموقف علماء الشيعة الذين أفتوا بفرض الجهاد على كل مسلم ومسلمة دفاعاً عن الدولة العثمانية عندما دخلت الجيوش البريطانية الى البصرة بالعراق ويرى الامام الخميني أن الوسيلة لتوحيد الأمة « هي اسقاط الحكومات العميلة له (الاستعمار) . » ثم « ان السعى الى اقامة حكومتنا الاسلامية وهذه بدورها سوف تتكلل بالنجاح يوم تتمكن من تحطيم رؤوس الخيانة وتدمير الأوثان والأصنام البشرية والطواغيت التي تشر الظلم والفساد في الأرض » (ص ٣٥) ويسهب الامام في البحث عن ادلة ضرورة تشكيل الحكومة من القرآن والسنة وينتهي الى تحريم التحاكم الى حكام الجور كما اسماهم وعندما يتكلم عن الحكومة الاسلامية يرى انها لا تشبه الاشكال الحكومية المعروفة لأنها ليست مطلقة ليستبد رئيس الدولة براه ولكنها دستورية وان كانت ليس بالمعنى المتعارف عليه لكلمة دستورية التي تعنى النظام البرلماني او المجالس الشعبية وانما بمعنى تقيد القائمين على الامر بمجموعة من الشروط والقواعد المبينة في القرآن والسنة ، وان كان ممثلي الشعب والملك هم الذين يقننون ويشرعون في التنظيم الدستورية « فان سلطة التشريع في الاسلام تنحصر بالله عز وجل وليس لأحد أياً كان أن يشرع وليس لأحد أن يحكم بما لم ينزل الله به من سلطان ، ولهذا السبب فقد استبدل الاسلام المجلس التشريعي بمجلس آخر للتخطيط » ص ٤٢ وحكومة الاسلام حكومة قانون ، الحاكم هو الله وحده كما

انها ليست ملكية ولا شاهنشاهية ولا امبراطورية تفرق في
البذخ والترف ولكن كيف السبيل الى تشكيل حكومة
اسلامية .. انه « سبيل النضال » « فالأفكار تبدأ صغيرة
ثم تكبر ، ثم يتجمع من حولها الناس ثم تكتسب القوة ثم
تأخذ بيدها زمام الأمور » ص ١١٩ .

ولهذا فهو يرى ان الحركة الاسلامية يجب ان تلتحم
مع القواعد الجماهيرية وتعمل بشكل دائم على توعيتها
وتنويرها وفضح اساليب خداعها وطرق امتصاص نقيمتها
واساليب المتاجرة بقضاياها وترى ذلك في البيان الذي
اصدره في ١٥ - سوال بمناسبة زلزال خراسان في العام
الماضي « يا كل جماهيرنا المسلمة في ايران احذروا اساليب
السلطة ولا تسمحوا لحوادث الزلزال والسيول وما شابه
ذلك أن تنحرف بكم عن مسيركم ولا تسمعوا لابواق الشاه
الدعائية واستمروا في ثورتكم الاسلامية حتى اسقاط النظام
الاستبدادي القائم على اذلال الشعب وقهره وعلى رجال
الدين في هذا الوقت الذي يستغل الشاه حوادث الزلزال
لأغفال الشعب عن قضيتته ، أن يتحملوا مسئوليتهم الدينية
الثقيلة في توعية الناس بهذه الأساليب الدنيئة .. وعلى
السياسيين والمثقفين والجامعيين أن يؤادوا رسالتهم
الاسلامية ولا يسمحوا للسلطات أن تنحرف بالثورة أو أن
تخمد جذوتها » ..

وعندما حاول الشاه ادخال بعض التغييرات الاسلامية
الشكلية لسحب البساط من تحت اقدام رجال الدين وذلك
عن طريق وزارة جعفر شريف امامى فضح الامام الخمينى
ذلك الاسلوب فى بيان اصدره فى ٢٣ - رمضان - ١٣٩٨
قائلاً « .. وأما اغلاق نوادى القمار أمر لا قيمة له وأنه مكر
آخر لتضليل جناح رجال الدين .. انما يفلقون نوادى
القمار باحترام الاسلام ! فى الوقت الذى لم تزل سائر مراكز
الفحشاء فى مكانها !! ولا يزال الظلم والقتل والنهب تصرفات
عادية لدى جلادى الشاه ، بالرغم من قوانين الاسلام وآيات
القرآن الكريم !! » .

يدعون اعطاء الحرية فى الوقت الذى لم يزل افضل وأعز
أبناء الاسلام وأبناء ايران فى السجون والمعتقلات وتحت
التعذيب الملكى أو يعيشون فى المنفى !! .

ولقد نجح الامام الخمينى بهذا الأسلوب وأصبحت
اشرطة الكاسيت ومنشوراته هى الخبز اليومى للجماهير
المسلمة فى ايران . ويركز على الكلمة والدعوة فى دور البعث
قائلاً قبل عشر سنوات « انتم اليوم لا تملكون دولة ولا جيشاً
ولكن تملكون أن تدعوا فلم يسلبكم عدوكم هذه القدرة على
الدعوة والتوجيه والتبليغ » « علينا أن نسعى لوضع حجر
الأساس للدولة الاسلامية الشرعية فدعوا وثبت الأفكار
ونصدر تعليماتنا ونكسب المساندين والمؤيدين لنا ، ونوجد
أمواجاً من التوجه الواعى والارشاد المنسق للجماهير

ليحصل رد فعل جماعى تكون على أثره جموع المسلمين الواعية المتمسكة بدينها على أتم الاستعداد للنهوض بأعباء تشكيل الحكومة الإسلامية» ص ١٢٠ - وينادى الامام بالتركيز على صفوف الجامعيين فى الدعوة لأنهم أكثر تفتحاً من غيرهم وأشد الناس عداوة للتسلط والعمالة والخيانة وعمليات نهب الخيرات والثروات كما يدعو للاستفادة مما اتاحه لنا الاسلام من فرص اللقاء التى قد لا تتحقق لغير المسلمين الا بصعوبة مثل صلاة الجماعة والحج والجمعة « فما علينا الا أن نعتبر هذه الاجتماعات فرصاً ذهبية لخدمة المبدأ والعقيدة لنبين فيها العقائد والأحكام والأنظمة على رؤوس الأشهاد فعلياً أن نفيد من موسم الحج ونجنى منه اطيب الثمار فى الدعوة الى الوحدة والدعوة الى تحكيم الاسلام فى الناس كافة وعلينا أن نبحت مشكلاتنا ونكتشف ما وضعه لها الاسلام من حلول جذرية » ص ١٢٥ « يا أبناء الاسلام كونوا أشداء أقوياء فى بيان حجتكم للناس لتقبلوا عدوكم بكل اسلحته وعسكره وحرسه ، بينوا الحقائق للجماهير واستنهضوهم ، وانفخوا فى أهل السوق والشارع وفى العامل والفلاح والجامعى روح الجهاد .. الجميع سيهبون للجهاد » ..

هذه كلمات الامام الخمينى منذ أكثر من عشر سنوات نراها واقعاً حياً فى شوارع ايران .. نشهدها وقد اتت أكلها وثمارها فى كل مواطن فهذا مراسل احدى المجلات الأمريكية يسأل مواطناً عادياً لم لا يذهب ابنه للمدرسة

فيجيبه المواطن المسلم : « أى مدرسة هذه .. لماذا لا يذهب ويستشهد في سبيل دينه ؟ » وإذا كان الامام الشهيد سيد قطب قد دعى الى عملية البعث هذه وفهم كم هى شاقة وطويلة واعلن « وأنا أعرف المسافة بين محاولة البعث وبين تسلم القيادة مسافة شاسعة » فان الامام الخميني يضع هذا في تصوره وحسبانه فيقول « نعتن لا نتوقع أن تؤتى تعليماتنا وجهودنا أكلها في زمن قصير لأن ترسيخ دعائم الحكومة الاسلامية يحتاج الى وقت طويل وجهود مضنية »

وهو يحذر شباب المسلمين والجماهير من اكاذيب الاستعمار وعملائه مما يحاولون ان يلقونه في روعنا من أن السياسة خبث ومكر ودهاء وذلك ليصرفونا عنها ثم يعثون هم بأمور الأمة كيفما شاءوا ، كما يطالب الشباب المسلمين أن يخرجوا من عزلتهم ويكملوا برامجهم الدراسية ويركبوا الصعاب من أجل ذلك كي يخططوا للحكومة الاسلامية التي ستقوم بعد ازالة الحكومة الجائرة التي يرى أن ازالتها ستتم بعد عملية الدعوة والبعث من خلال

١ - مقاومة المؤسسات التابعة للحكومة الجائرة .

٢ - ترك التعاون معها .

٣ - الابتعاد عن كل عمل يعود نفعه عليها .

٤ - تأسيس مؤسسات قضائية ومالية واقتصادية وسياسية وثقافية جديدة .

* * *

وتبقى هناك قضية هامة في فكر الامام الخميني وممارسة الحركة الاسلامية في ايران الا وهو موقفها من قضية فلسطين هذا الموقف الذي ينم عن وعى استراتيجي وتكتيكي بالغ الأثر والأهمية وهو موقف يجب أن تنامله بقية الحركات الاسلامية لتأخذ منه الدرس والعبرة لا على مستوى النظرية فقط بل على مستوى الممارسة والتطبيق لأن المواجهة في المستوى النظري هي مراوغة تسمح لكل فكر فج ومائع بالبقاء في موقعه يؤدي دوره بشكل غير صحي

لقد فهم الامام الخميني طبيعة ودور الاستعمار والتحدى الغربي الحديث للإسلام والفزو الفكري الذي تلاه وادرك في نفس الوقت ان اسرائيل هي التجسيد الواقعي لهذا التحدي بل هو حضور التحدي في أشد صوره كما يقول المفكر الاسلامي توفيق الطيب : « فنحن هنا لا نواجه ثقافة الغرب في تيار بل نواجهها في الانسان الغربي نفسه - نواجه الحضارة الغربية الحديثة في فكرها واخلاقها وعلمها ونواجهها لا على صورة حوار سلمى بل على صورة صدام محتوم ... لأننا لا نواجهها كثقافة بل ككتلة بشرية .. كاحتلال وضعنا امام احتمالين لا مفر منهما : الأرض او الحرب .. والأرض تعنى هنا التاريخ والشعب » ثم يستطرد المفكر الاسلامي توفيق الطيب قائلا : « ان الاسلام كعقيدة والغرب كمشعب يواجهان مصيرهما .. والمحك هو فلسطين » هذا عين ما فهمه الامام الخميني وعين ما فهمه الاستاذ أبو الأعلى المودودي في

باكستان عندما أعلن أن قضية فلسطين يجب أن تكون محور الحركة الإسلامية .

ومن هنا نشأت العلاقة بين الحركة الإسلامية في إيران وفلسطين هذه العلاقة التي لا يمكن سبر كل أغوارها في مثل هذا الكتاب ، وربما كان باستطاعتنا الإشارة لبعض جوانبها، فلقد اتهمت الحركة الإسلامية الشاه دوماً بالعمالة لإسرائيل ومساندتها ، يقول الامام الخميني في كتابه « الحكومة الإسلامية » : **ان نظام الشاه . . يشترى طائرات القانتوم ليتدرب عليها الاسرائيليون ، وبما أن إسرائيل في حالة حرب مع المسلمين فكل من يساعدها ويساندها يكون هو بدوره في حالة حرب مع المسلمين** » ص ١١٤ وفي حين كان يتم تدريب بعض كوادر الحركة الإسلامية في معسكرات الثورة الفلسطينية ويقوم تعاون وتسيق بين الطرفين كان الامام الخميني يعلن عن مساعدته للكفاح المسلح ويفتى بوجوب العمل على إزالة الكيان الصهيوني ضمن فتواه التاريخية التي قال فيها :

« يجب على الدول الإسلامية وعلى عامة المسلمين إزالة عنصر الفساد - إسرائيل - وألا يقصروا في مساندة الثوار ويجوز لهم صرف الزكاة وسائر الصدقات في هذا الأمر المصري » . . وعندما حاول الاستعمار والانعزاليون في لبنان تصفية الثورة الفلسطينية أصدر نداءً يكشف فيه إبعاد المؤامرة وأكد ضرورة توفير الدعم للمقاومة وفي أثناء حرب رمضان - أكتوبر ٧٣ - أصدر بيانين حث فيهما

الشعوب والدول الاسلامية على مساندة الشعوب العربية في مواجهة العدو الصهيونى المفتصب ودعا زعماء البلاد الاسلامية الى الحذر من جرثومة الفساد الصهيونية الموضوعة في قلب البلدان الاسلامية والى قطع النفط عن الدول المؤيدة ازاء عدوان اسرائيل الوحشى على اخوته العرب والمسلمين للصهيونية كما حث الشعب الايرانى المسلم الا يقف محايداً ودعاهم لضرب المصالح الامريكية والاسرائيلية .

وفى رسالة وجهها لياسر عرفات - فى ١٦ - شوال الماضى يقول فيها : « **اننا نختلف دائماً مع الشاه فى سياسته ومواقفه من القضية الفلسطينية كما نحارب اسرائيل وانصارها .. وملتقى معكم فى ثورتكم ضدهم** » .

ولقد اتهم الامام الخمينى اسرائيل بالاشتراك فى قمع الثورة الاسلامية فى ايران ففى بيان له ١٥ - شوال ١٣٩٨ - يقول فيه « **ان الذين حصدوا برصاص الرشاشات أبناء الاسلام واتباع القرآن الكريم وكما هو معروف استنجدوا بالكوماندوز الاسرائيلى فى قتل الجماهير الشجاعة العزلاء** » .

وبعد فهذه لمحة عن فكر الامام الخمينى والحركة الاسلامية فى ايران وسنتكلم فى فصل قادم عن التنظيم الاسلامى نفسه ، وان كنت اود ان اشير قبل ترك هذا الفصل ان الثورة الاسلامية فى ايران ثورة اسلامية بمعناها القرآنى الرحب .. انها ليست ثورة طائفة دون طائفة ، ان

القواسم المشتركة بين جناحي المسلمين السنة والشيعة لتكاد
بل هي فعلاً تتشكل جسده هذه الثورة بدءاً من منطلقاتها
وأهدافها ووسائلها وبواعثها . . ان الخلاف المطروح بين اهل
السنة والشيعة حول امامة الأئمة الاثني عشر وعصمة الأئمة
لا يشكل - لا سلباً ولا ايجاباً - أى تأثير فى طبيعة الثورة
ومسارها .

ولكن حتى تكتمل موضوعية البحث لا بد لنا من دراسة
سريعة لاصول الفكر الشيعى .

الفصل الثالث

أصول الفكر الشيعى

الشيعه واحده من أقدم الفرق الاسلاميه واكبرها وقد
تفرعت عن الشيعة فرق عديدة ربما تجاوزت المائة ولكن الفرقة
التي تخبر تعبيرا رسمياً ودقيقاً عن الشيعة هي الاماميه .
وقد وقفت هذه الفرقة الأخيرة من غالبية الفرق الأخرى
موقفاً نقدياً ورافضاً ومكفراً في أحيان كثيرة فالامام محمد
الحسين آل كاشف الغطاء الامامى الاثنى عشرى يصف
الخطابية في كتابه « أصل الشيعة واصولها » بأنهم ملاحدة
خارجون ص ١٢٩ وهؤلاء هم الذين اشتطوا وقالوا بالوهية
جعفر الصادق (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) ويقول
آل كاشف الغطاء عن فرقة أخرى كالساية « هذه كتب
الشيعة باجمعها تعلن بلعنة (عبد الله بن سبأ مؤسس الفرقة)
والبراءة منه » « وهو العن من أن يذكر » وعبد الله بن سبأ
كان قد زعم ان علياً كان نبياً ثم غلا فزعم انه كان الها .

والامامية هي الفرقة التي نقصدها عندما نتكلم عن
الشيعة وهم الذين شايعوا الامام على رضى الله عنه على
الخصوص وقالوا بامامته وخلافته نصاً ووصاية (أى أن
الله قد طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخلفه الامام

على وأن الرسول الكريم قد أوصى بذلك) وقالوا ان علياً وولده الأحد عشر أحق بالخلافة من كل أحد وانهم أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اعتقدوا ان الامامة لا تخرج من اولاده وان خرجت فيظلم بكون من غيره او بتقية من عنده ويقول مفكرو الشيعة ان اول من وضع بذرة التشيع من حول الاسلام هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية كما يقول آل كاشف الغطاء . ويقول الاستاذ محمد باقر الصدر في كتاب - التشيع والاسلام (دار الزهراء ص ٤٩) « ان الشيعة ولدوا مند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة متمثلين الذين خضعوا عملياً لاطروحة زعامة الامام على رضى الله عنه وقيادته التي فرض النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الابتداء بتنفيذها من حين وفاته مباشرة وقد تجسد الاتجاه الشيعي منذ اللحظة الأولى في انكار ما اتجهت اليه السقيفة من تجميد لاطروحة زعامة الامام على رضى الله عنه واسناد السلطة اليه » .

هذا وقد اعتبر بعض الصحابة المخلصين في حبه للامام والذين رأوه أحق بالخلافة كبداية لظهور التشيع ومن هؤلاء سليمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار ابن ياسر والحديث هذا عن الامامية ينطبق تماماً على فرقة الاثنى عشرية منهم حيث ان هناك فرق أخرى تنتمي الى الشيعة الامامية تختلف في قليل او كثير :

١ - الكيسانية : نسبة الى كيسان مولى الامام على ويقال انهم زعموا أن محمد بن الحنفية هو الامام المهدي

وهو القائد المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ،
وقد انقرضت هذه الفرقة .

٢ - **الأفطحية** : وقالوا بامامة عبد الله بن جعفر الصادق
وليس موسى الكاظم كما قالت الامامية الاننى عشيرة ولا
اسماعيل كما قالت الاسماعيلية وهم اخوته وقيل انهم سموا
كذلك نسبة الى رئيس لهم اسمه عبد الله بن فطيج وربما
لان عبد الله كان افطح الرأس وقد مات عبد الله دون ان
يخلف ولداً ذكراً .. وقد انقرضت هذه الفئة .

٣ - **الواقفة** : وهم الذين قالوا بامامة موسى الكاظم ولا
امام بعده لأنه حى لا يموت قائم بملأ الأرض عدلاً كما ملئت
جوراً وقد انقرضت هذه الفئة أيضاً .

٤ - **الناوسية** : وقالوا بامامة جعفر الصادق وبانه حى
لم يموت وقد انقرضت هذه الفئة أيضاً .

٥ - **الاسماعيلية** : وهم الذين قالوا بالامامة لاسماعيل
ابن جعفر بدلاً من أخيه موسى الكاظم ويقولون ان الأئمة
بعد اسماعيل كانت أئمة مستورة لأن الامام يجوز له أن
يتستر اذا لم تكن له شوكة وقوة يظهر بها على أعدائه وانما
يظهر دعائه ، وظل هؤلاء الأئمة يتداولون الامامة واحد بعد
الأخر فى ستر وخفاء حتى جاء عبد الله المهدي رأس الدولة
الفاطمية فظهر الدعوة لما أحس بالقوة ، ويسمون بالباطنية

لانهم يقولون بالامام الباطن المستور ولقولهم لكل ظاهر باطن
ولكل تنزيل تأويل وقد دان بعضهم بالحلول دون تصريح
وانما قالوا بان الامام خلق من نور الله او نور الله حل به
ولا يزال في الهند الى الآن طائفة من الاسماعيلية .

٦ - الزيدية : ويتبعون زيد بن علي بن الحسين بن علي
ويعتبرون اقرب الى اهل السنة من باقى الفرق فهم
لا يقولون بالتقية كما أنهم يعترفون بخلافة أبى بكر وعمر
وعثمان على أساس مصلحة المسلمين واشفاقاً من الفتنة
ويعتبرون علياً أفضل الخلق بعد الرسول صلى الله عليه
وسلم لقربته وسابقته في الاسلام ويجيزون تولية غيره اذا
كان الذى يولونه مجرباً مجوزين امامة المفضول مع وجود
الأفضل وهم لا يقولون بعصمة الأئمة كما لا يقولون باختفائهم
وهم لم يجوزوا امامة غير أبناء فاطمة (كمحمد بن الحنفية) .

ولا تزال هذه الفئة قائمة خاصة في جبال اليمن .

٧ - الامامية الاثنى عشرية : وهم اكبر الطوائف
الاسلامية بعد اهل السنة ويتركزون في ايران والعراق
وأفغانستان والهند وباكستان وهم يقولون بامامة على
وولده الاحد عشر (كما سبق) نصاً ووصية في حين لا يرى
اهل السنة ان الامام على قد ذكر نصاً يعتبر أن الرسول
صلى الله عليه وسلم عينه للخلافة ، ولو كان لديه نص كما
يقولون وذكره لما بقى الانتصار والمهاجرون على رأيهم ولبايعوه

وان كان بعض الشيعة يعتقد أن الصحابة (رضوان الله عليهم) قد سكتوا عن هذه القضية لأسباب سياسية مخالفة بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم الا أن آل كاشف الغطاء في كتابه أصل الشيعة وأصولها ص ١١٣ يتبرأ من هذا القول قائلاً « . . . كلا معاذ الله أن يظن بهم (يقصد الصحابة الكرام) ذلك وهم خيرة من على وجه الأرض يومئذ ولكن لعل الكلمات لم يسمعها كلهم ومن سمع بعضها لم يلتفت الى المقصود منها وصحابة النبي الكرام اسمى من أن تحلق الى أوج مقامهم بفات الأوهام » بل ويقول ص ١١٧ أن السلطة المدنية والدينية كانت مجتمعة في الخلفاء الأولين ولم تنفصل عنها على حد تعبيره الا يوم خلافة معاوية ويزيد ! وتعتبر الاثنى عشرية الامام على رضى الله عنه اول الاثنى عشر وأن محمد بن المهدي الذي اختفى نحو ٢٦٠ هـ هو آخرهم وسيعود هذا في آخر الزمان ليملا الأرض عدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً .

هذا وتقوم فلسفة الامامة عند الامامية الاثنى عشرية على مبادئ أربعة أساسية :

١ - العصمة : أي أن الأئمة (الاثنى عشر) معصومون من كل خطأ وزلل . ويقولون بهذا ويروى الامام الكليني في كتابه الكافي عن على رضى الله عنه قوله « لا تكفوا عن مقالة بحق ، أو مشورة بعدل ، فاني لست آمن أن أخطئ » وهناك أيضاً موقف الحسين الذي كره صلح أخيه الحسن مع معاوية قائلاً لو جز أنفى لكان أحب الى مما فعله أخي ويقول الاستاذ احمد أمين في (كتابه ضحى الاسلام جزء ٣

ص ٢٢٢) « لو كان لعلى كل هذه العصمة والعلم ببواطن الأمور وخفاياها لتغير وجه التاريخ ولما قبل التحكيم ولدبر الحروب خيراً مما دبر فان قيل انه علم وسكت وتصرف وفق القدر فهو خاضع للظروف خضوع الناس تتصرف فيه حوادث الزمان كما تتصرف في الناس ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » .

٢ - المهدي : وتعني لفة وديناً الرجل الذي هداه الله فاهتدى وأخذت عند الامامية معنى « الامام المنتظر » وهو لا يزال غائباً بين الناس وسيظهر فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وهو محمد المهدي الذي اختفى نحو ٢٦٠ هـ . وكان الكثير من الشيعة يرى انه لا تقوم دولة الاسلام مرة أخرى الا بظهور المهدي ولكننا رأينا في الفصل السابق موقف الامام آية الله الخميني الذي رأى في هذا الانتظار دون التحرك لاقامة حكومة اسلامية اسوا من تسخ الاسلام ، هذا وتنكر الفرقة الزيدية قضية المهدي بالطريقة المطروحة عند الامامية الاثنى عشرية .

٣ - الرجعة : وتعني ان الله يرجع قسماً من الأموات الى الحياة الدنيا ويعتقدون ان النبي صلى الله عليه وسلم وعلياً والحسن والحسين وباقي الأئمة وكذلك بعض خصومهم من الصحابة كأبي بكر وعثمان وعمر ومعاوية !! يرجعون الى الدنيا بعد ظهور المهدي ويعذب من اعتدى على الأئمة

وغضبهم حقوقهم أو قتلهم ولكن الامام آل كاشف الفطاء يقول في كتابه اصل الشيعة وأصولها ، « وليس التدين بالرجعة في مذهب التشيع بلازم ولا انكارها بضار وان كانت ضرورية عندهم ولكن لا يناط التشيع بها وجوداً أو عدماً » ص ٩٩ .

٤ - **التقية** : وهى عندهم كتمان الحق وسر الاعتقاد فيه مكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين والدنيا ويروى عن الامام جعفر الصادق قوله (من لا تقية له لا دين له) واجازوا التقية في الدين عند الخوف على النفس وقد تجوز في حالة الخوف على المال وفي حالة الاستصلاح .

ويقول الامام آية الخميني في كتابه الحكومة الاسلامية ص ١٤٢ « فلا ينبغي التمسك بالتقية في كل صغيرة وكبيرة وقد شرعت للحفاظ على النفس أو الغير من الضرر في مجال الأحكام .. أما اذا كان الاسلام كله في خطر فليس في ذلك متسع للتقية والسكوت » وتعتبر الشيعة موقف سكوت على عن أبى بكر وعمر (رضى الله عنهم أجمعين) كان تقية وكذلك موقف الحسن من معاوية .

هذه بايجاز المبادئ الأربعة التى تقوم عليها الامامية الاثنى عشرية .

والسؤال الذى يواجهنا الآن ما موقف الشيعة من اهل السنة .. اى من المسلم الذى لا يأخذ بالامامة وينكر العصمة ؟

ورغم ان الامام الكلينى يقول فى كتابه الكافى : « لا يكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله ورسوله والأئمة كلهم وامام زمانه ويرد اليه ويسلم له » الا أن بعضهم يفسر ثلمته لا يكون مؤمناً اى لا يكون مسلماً شيعياً ويجب الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء على هذا السؤال بشكل حاسم فى كتابه « اصل الشيعة وأصولها » قائلا : « والاسلام والايمان مترادفان ويطلقان على معنى أعم يعتمد على ثلاث أركان : التوحيد والنبوة والمعاد فلو انكر الرجل واحداً منها فليس بمسلم ولا مؤمن وركن رابع وهو العمل بالدعائم التى بنى عليها الاسلام وهى خمس (الصلاة والصوم - والزكاة والحج والجهاد) (الشهادة مرت فى التوحيد) .. فهذه الأركان الأربعة هى اصول الاسلام والايمان بالمعنى الأخص عند جمهور المسلمين ولكن الشيعة الامامية زادوا ركناً خامساً وهو الاعتقاد بالامامة » ص ١٢٧ - وقد اعتبر الامام آل كاشف الغطاء ان عدم الأخذ بالمبدأ الخامس مع الايمان والعمل بالأركان الأربعة لا يخرج المسلم عن دائرة الايمان والاسلام فيقول (نفس المصدر السابق) « .. واذا اقتصر على تلك الأركان (الأربعة فقط) فهو مسلم مؤمن بالمعنى الأعم تترتب عليه جميع أحكام الاسلام من حرمة دمه وماله وعرضه ووجوب حفظه وحرمة غيبته وغير ذلك لا أنه بعدم

الاعتقاد بالامامية يخرج عن كونه مسلماً - معاذ الله - نعم يظهر أثر الدين بالامامة في منازل القرب والكرامة يوم القيامة أما في الدنيا فالمسلمون بأجمعهم سواء وبعضهم لبعض اكفاء » .

وبعد فمجمال القول بالنسبة للشيعة الاثنى عشرية الذين يشكلون سواد الشيعة اليوم أنهم يشهدون أن لا اله الا الله وانه واحد أحد ليس كمثله شيء وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من عنده وصدق المرسلين ويؤمنون بجميع أنبياء الله ورسله وبجميع ما جاء به من عند ربه ويقولون بامامة علي وولده الأحد عشر وانهم أحق بالامامة من كل أحد وانهم أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولهم بالامامة هذا لا يوجب كفراً ولا فسقاً لأن امامة شخص بعينه ليست من اصول الاسلام كما يرى أهل السنة .

وهم وان كانوا أوجبوا امامة الاثمة الاثنى عشر لكن منكر هؤلاء الاثمة عندهم ليس بكافر ولا بخارج عن الاسلام وتجري عليه جميع احكامه . كما يقولون بعصمة الاثمة الاثنى عشر وبعودة المهدي الموجود حياً بين الناس وان أخطأوا في ذلك أو أصابوا فهذا لا يوجب كفراً ولا خروجاً عن الاسلام ومن أهم ما يؤخذ عليهم دعوى القدح في الصحابة الكرام ولكن بعضهم يراون من الغلاء ويقولون أن احترام أصحاب نبينا من احترام نبينا فنحن نحترمهم لاحترامه . في حين يقول بعضهم أن أبا بكر وعمر وعثمان (رضوان الله عليهم)

قد اغتصبوا السلطة من الامام على رضى الله عنه يقول
آخرون منهم ان ابا بكر وعمر وعثمان اجتهدوا فاطخطوا !!

هذا مذهب الشيعة الامامية الاثنى عشرية
لا يفوتنا ان نشير في نهاية عرض أصوله الى الفتوى التى
أصدرها الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت عندما كان
رئيساً للأزهر ونشرت عام ١٩٥٩ بمجلة (رسالة الاسلام)
العدد الثالث من السنة الحادية عشر ص ٢٢٧ .

((.. ان مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة
الامامية الاثنى عشرية هو مذهب يجوز التعبد به شرعاً
كسائر مذاهب أهل السنة فينبغى للمسلمين أن يعرفوا
ذلك ويتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة)) .

الفصل الرابع

ايران من ثورة ١٩٠٦ الى ثورة ١٩٧٨

يبدو لكثير من المرافيين ان ما يحدث في ايران الآن ما هو شريط معاد لما حدث في اوائل هذا القرن حيث واجهت الأسرة القاجارية الحاكمة في ذلك الوقت موقفاً حرجاً في مواجهة مطالب المسلمين الدين وقفوا في وجه استبداد الشاه القاجارى مظفر الدين بن ناصر الدين شاه وطيشة وخضوعه للمستعمر الفاصب حيث كانت روسيا وبريطانيا تمارسان نفوذاً وسيطرة فعلية على ايران .

وتاريخ الأسرة القاجارية في الحكم يعود الى مؤسسها اغا محمد شاه قاجار الذى تسلم الحكم عام ١٧٩٦ وينتهى تاريخ هذه الأسرة عام ١٩٢٥ حيث عزل آخر ملوكها أحمد شاه على يد رضا شاه مؤسس الأسرة البهلوية .

وفي أثناء حكم الأسرة القاجارية هذه حدثت تغيرات كان لها اثر بعيد في تاريخ ايران فلقد خسرت في حربين مع روسيا القيصرية بعض ممتلكاتها حول بحر قزوين وكان الحكم دكتاتورياً ظالماً ، يدخل السجن الى السجن فترة

تطول أو تقصر ويخرج وهو لا يدري لماذا سجن ولماذا اطلق
سراحه !

وكان الفساد والرشوة يملآن كل دوائر الدولة وكان جباة
الضرائب يجدون لذة في معاقبة الممتنعين وجلدهم وهم
مربوطين حول الشجر هذا بالاضافة للاوضاع الاقتصادية
المتدهورة حيث كانت البلاد تستورد اضعاف ما تصدره
وكان اصحاب الافران يخلطون الخبر بالنشارة وقشر الارز
لدرجة ان مئات من المواطنين كانوا يموتون من جراء ذلك
وكانت غالبية الشعب من الأميين ولم تسع الحكومة لتحسين
الوضع بل ان ناصر الدين شاه (١٨٤٨ - ١٨٩٦) كان يقيد
السفر الى أوروبا للتعليم وله كلمة مشهورة في ذلك يقول
فيها « أرغب ان يكون أبناء شعبي اغساء بلا ثقافة الى القدر
الذي لا يعرفون معه ان بروكسل هي اسم لمدينة ام لنسوع
من الخضار ! »

وناصر الدين هذا هو الذي كانت له مع الزعيم الثائر
جمال الدين الأفغاني صولات وجولات ولقد قتل على يد أحد
مريدي جمال الدين الذي قال له عند ما طعنه : « خذها من
يد جمال الدين » .

ولقد بدأت مظاهر الاستياء من الحكم تطفوا شيئاً فشيئاً حتى
تحولت عام ١٩٠٦ في عهد مظفر الدين شاه الى ثورة شعبية
عامة قادها علماء المسلمين في ايران . . حيث اعلنوا الاعتصام

في المساجد وطالبوا بطرد حاكم طهران ورئيس الوزراء وبعض المسؤولين في الدولة وكذلك الميوتوز البلجيكي « الذي كان مديراً لجمارك إيران » وذلك لأنه ارتدى ملابس رجل دين في حفلة تنكرية . . ورغم أن الشاه مظفر الدين أرسل اليهم الفرقة الروسية القوقازية التي اشاعت الرعب والهلع الا أن الثورة الاسلامية استمرت في تصاعدها حتى ارغمت الشاه على توقيع قانون الدستور ، نصت المادة الاولى فيه على أن دين الدولة الرسمي هو الاسلام حسب المذهب الجعفري وأن رئيس الدولة من هذا المذهب والمادة الثانية نصت على منح العلماء حق مناقشة أى قانون ورده اذا لم يتفق مع الشريعة الاسلامية ومنحت المادة الثامنة الإيرانيين المساواة التامة أمام القانون وآمنت المادة التاسعة المواطنين على أرواحهم وأملاكهم . . كما منعت المادة العاشرة اعتقال أى شخص دون أمر خطى . . ورفعت المادة ٢٢ ، ٢٣ الرقابة على الاتصال البريدى والبرقى وقد بلغت مواد الدستور مع ملحقه ١٥٦ مادة .

وتم تشكيل حكومة دستورية ديمقراطية بدلا من الحكومة المستبدة وانتخب مجلساً آخر للشيوخ يضم ٦٠ عضواً . . نصفه يتم بالتعيين ونصفه الآخر بالانتخاب .

وفي أثناء اشتعال الثورة الاسلامية في إيران وجه الزعيم الثائر جمال الدين الأفغانى رسالة الى قادة الثورة تود أن

نثبت اغلب تصوصها منقولة عن مجلة « المنار » التى كان يصدرها محمد رشيد رضا .. وذلك للأهمية التى تحويها هذه الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

حملة القرآن وحفظة الايمان ، ظهراء الدين المتين ونصراء الشرع المبين ، جنود الله الغالية فى العالم وحججه الدامغة لضلال الأمم ، جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازى ، .. وسائر هذه الأمة ونواب الأئمة من الأبحار العظام والعلماء الكرام ، أعز الله بهم الاسلام والمسلمين وارغم انوف الزنادقة المتجبرين .. آمين .

طالما تافت الأمم الأفرنجية الى الاستيلاء على البلاد الايرانية حرصاً منها وشرها ، ولكم سولت لها أمانيتها خدعاً تمكنها من الولوج فى ارجائها وتمهد فيها سلطانها على غرة من أهلها تحاشياً من المقارعة التى تورث الضفائن . فتبعث النفوس على الثورة كلما سنحت الفرص وقضت بها الفترات ولكنها علمت أن بلوغ الأرب والعلماء فى عز سلطانهم ضرب من المحال ، لأن القلوب تهوى اليهم طراً ، والناس جميعاً طوع يدهم يأترون كيفما امرؤا ويقومون حيثما قاموا لا مرد لقضائهم ولا مرد لحكمهم وأنهم لا يزالون يدابون فى حفظ حوزة الاسلام لا تأخذهم فيه غفلة ولا تعروهم غرة ، ولا تميد

بهم شهوة فخنست وهى تتربص بهم الدوائر وتتقرب
الحوادث » .

« ولما تولى هذا الشاه الحارثية (الطاغية) الملك طفق
يستلب حقوق العلماء تدريجياً ويخفض شأنهم ويقل نفوذ
كلمتهم حباً بالاستبداد يبطل أوامره ونواهيه وحرصاً على
توسيع دائرة ظلمه وجوره فطرد جمعاً من البلاد بهوان ..
فخلأ له الجو فقهر العباد وأباد البلاد وتقلب فى أطوار الفظائع
وتجاهر بأنواع الشنائع وصرف فى أهوائه الدنية وملأه
البهيمية ما مصه من دماء الفقراء والمساكين عصراً ونزح من
دموع الأراذل والأيتام قهراً (يا للإسلام) .

فاذا اشتد جنونه بجميع فنونه فاستوزر وغداً خسيساً
ليس له دين يردعه ولا عقل يزجره ولا شرف نفس يمنعه »

« فحسب الأفرنج ان الوقت قد حان لاستملاك الأقطار
الإيرانية بلا كفاح ولا قتال وزعمت أن العلماء الذين كانوا
يذبون عن حوزة الإسلام وقد زالت شوكتهم ونقد نفوذهم
فهرع كل فاجر فاه يبغى أن يسطر قطعة من تلك المملكة ،
فثار الحق وغضب الباطل فدمغه فخاب مسعاه وذل كل
جبار عنيد ، أقول الحق أنكم أيها القادة قد عظمت الإسلام
بعزيمتكم وأعليت كلمته وملئتم القلوب من الرهبة والهبة ،
وعلمت الأجانب أن لكم سلطاناً لا يقاوم وقوة لا تدفع وكلمة
لا ترد وأنكم سياج البلاد وبيدكم أزمة العباد ولكن قد عظم

الخطب الآن وجلت الرزية لأن الشياطين قد تألبت جبرا
للكسر وحرصاً على الوصول الى الغاية وازمعت على اغراء
ذاك المارق الاثيم على طرد العلماء كافة من البلاد وأبانت له
ان انفاذ الأوامر انما هو بانقياد قواد الجيش وأن القواد
لا يعصون للعلماء امراً ولا يرضون بهم شراً فيجب لاستتباب
الحكومة استبدالهم بقواد الأفرنج . . والشاه بجنونه المطبق
قد استحسّن هذا واهتز به طرباً .

لعمر الله لقد تحالف الجنون والزندقة وتعاهد العنة
والشره على محق الدين واضمحلال الشريعة وتسليم دار
الاسلام الى الأجانب بلا مقارعة ولا مغامرة .

يا هداة الأمة انكم لو أهملتم هذا الفرعون الذليل ونفسه
وامهلتموه على سرير جنونه وما أسرعتم بخلمه عن كرسى غيه
لقضى الأمر ففسر العلاج وتعذر التدارك .

انتم نصراء الله في الأرض ولقد تمحصت بالشرعية الالهية
نفوسكم عن أهواء دنيّه تبعث على الشقاق وتدعو الى النفاق
ويؤسّر الشيطان بصدفات الحق عن تفريق كلمتكم فانتسم
جميعاً يد واحدة يذود بها الله عن صياصي دينه الحصينة
ويذب بقوتها القاهرة جنود الشرك واعوان الزندقة . . وان
الناس كافة (الا من قضى الله عليه بالخيبة والخسران) طوع
أمركم فلو أعلنتم خلع هذه الحاربية (الطاغية) لاطاعكم
الأمير والحقير وأذن لحكمكم الفنى والفقير خصوصاً وان

الصدور قد حرجت وأن القلوب قد تفتطرت من هذه السلطنة القاسية الحمى التي ما سدت نفورا ولا جندت جنودا ولا عمرت بلاداً ولا نشرت علما ولا أعزت الاسلام ولا أراحت يوما ما في قلوب الأنام بل دمرت وأفوت وأقصرت وأذلت .. »

« وإذا وقع الخلع فلا ريب أن الذى يخلف هذا الطاغية لا يمكنه الجيدان عن أوامرهم الالهية ولا يسعه الا الخضوع بعنبتكم عتبة الشريعة المحمدية .. كيف لا وهو يرى عيانا ما لكم من القوة الربانية التى تقبلون بها الطغاة عن كرسى عيها ، وإن العامة متى سعدت بالعدل تحت سلطان النرع ازدادت بكم ولعا وحامت حولكم هياماً وصارت جميعا جندا لله وضرباً لأوليائه العلماء ولقد وهم من ظن أن خلع هذا الحارثية الا بهجمات العساكر وطلقات المدافع والقنابل ، ليس الأمر كذلك لأن عقيدة ايمانيه قد رسخت فى العقول وتمكنت من النفوس وهى أن الراد على العلماء راد على الله فاذا أعلنتم (يا حملة القرآن) حكم الله فى هذا القاصب الجائر وأتيتم أمره تعالى حرمة اطاعنه لأنفض الناس من حوله فوقع الخلع بلا جدال وقتال . »

« قد آن الآوان لاهياء مراسم الدين واعزاز المسلمين فاخلعوا هذا الطاغية قبل أن يفتك بكم ويهتك أعراضكم ويقلم سياج دينكم ، ليس عليكم الا أن تعلنوا على رؤوس الاشهاد حرمة اطاعته فاذا يرى نفسه ذليلا فريدا يفر منه

بطانيه ، وينفر منه حاشيته وينبذه العساكر ويرجمه الأصغر .

انكم يا ايها العلماء والذين قاموا معكم بتأييد الدين بعد اليوم في خطر عظيم قد كسرتم قرن فرعون بعصا الحق وجدعتم انف الحارية بسيف الشرع فهو يتربص فرصاً تساعد على الانتقام شفاءً لفيظه ومرضاة لطبيعته التي فطرت على الحقد واللجاج فلا تمهلوه أياماً ولا تمكنوه ان يفيض زمماً أعلنوا خلعه قبل اندمال جرحه .

وحاشاكم ايها الراسخون في العلم ان ترتابوا في خلع رجل سلطانه غصب وافعله فسق واوامره فجور وأنه بعد ان مص دماء المسلمين ونهش عظام المساكين وترك الناس عراة حفاة لا يملكون شيئاً حكم عليه جنونه أن يملك الأجانب بلاداً كانت للإسلام عزة وللدين المتين حرزاً وساقته سورة السفه الى اعلاء كلمة الكفر والاستغلال بلواء النرك » .

هذا نص الوثيقة التاريخية التي وجهها جمال الدين الى علماء المسلمين والتي ستزداد أهميتها وضوحاً عندما نعرف انه بعد أن توفي الشاه مظفر الدين الذي بقى رمزاً دستورياً على غير ما أراد جمال الدين وجاء الشاه محمد على الى السلطة ولم يد الإيرانيين يتنسمون هواء الحرية الدستورية حتى بدأ الشاه الجديد بنسج خيوط المؤامرة التي تعيد البلاد الى الحكم الاستبدادي السابق ففي ٢٣ يونيو حزيران - ١٩٠٨ - حاصرت الفرقة الروسية القوقازية بقيادة الكولونيل الروسي

« لياخوف » المجلس النيابى وضربته بالمدفعية فدمرته وفنل بعض النواب وهرب الآخرون بينما دافع عنه الحراس المسلمون بشجاعة نادرة .. وهكذا أوفف التباه الدستور وعطل المجلس النيابى وأقام حكومة عسكرية فى طهران فرضت منع النجول فيها .

وهذا الدرس الذى نبه اليه جمال الدين فى وثيقته الخطيرة هو ما وعته الحركة الاسلامية فى ايران تحت قيادة آية الله الخمينى فقد أعلنت الثورة الاسلامية عام ١٩٧٨ .

الجيش الايرانى غير مذهب .. الساقاك غير مذبنة .. الحزب (راساخيذ) غير مذهب .. المذهب الوحيد هو الفصر الذى يحرك الجميع ومن هنا الاصرار على شعار « مرك برشاه أى الموت للشاه » .

ولكن علماء المسلمين بعد استبداد محمد على شاه بالسلطة لم يقبلوا الهزيمة فنشبت الثورة فى انحاء ايران ورغم مساندة الروس للشاه وبوساطة الانجليز ورغم عمليات الابادة والقمع ضد الجماهير المسلمة الا ان الثوار تقدموا من الشمال والجنوب وحاصروا العاصمة فاستسلمت قوات الحكومة فى ١٦ يوليو (تموز) ١٩٠٩ وهرب الشاه الى المفوضية الروسية وأعلن الثوار خلع الشاه وتعيين ابنه الشاه أحمد ميرزا ملكاً واعادوا الدستور مرة أخرى وعندما قامت الثورة الشيوعية فى روسيا وانشغل الاتحاد السوفيتى

بمشاكله الداخلية أنهزت بريطانيا الفرصة لحكم نفوذها على كل إيران ، وهنا شعر السوفيت بخطر هذا الوجود البريطاني فحاولوا خلق زعامات جديدة تؤيدهم داخل إيران واستطاعوا بواسطة أحد المعارضين للحكومة ويدعى ميرزا كوجك خان « من تشكيل حكومة اشتراكية انفصالية في بعض المقاطعات الإيرانية ، حرضت بريطانيا الحكومة المركزية في طهران بسنده ضد هذه الحكومة الانفصالية فارسلت الحكومة حملة قوية بقيادة الكولونيل « رضا خان » والد الشاه والذي استطاع أن يحقق نصرا سريعا وحاسما على الانفصاليين وانسحبت بعد ذلك القوات الروسية المؤيدة للانفصاليين وعقدت المعاهدة السوفينية الإيرانية في فبراير ١٩٢١ والسارية المفعول حتى الآن والتي يحق فيها للسوفيت إرسال قواتهم لإيران في حالة تعرض الأخيرة لاعتداء مسلح من جانب أي قوة أجنبية على أن تنسحب هذه القوات بعد زوال الخطر .

والكولونيل رضا مؤسس الأسرة الملكية البهلوية كان قد التحق بالجيش الإيراني كجندى واستطاع أن يحصل على ترقية سريعة مبهرة وفي النانية والعشرين من عمره التحق بالفرقة القوقازية التي يقودها الضباط الروس حيث اكتسب خبرة ودراية كبيرة ساعدته بعد ذلك في تحقيق نصره السريع والحاسم ضد الانفصاليين هذا النصر الذي منحه شعبه شديدة جعلته بعد ذلك يتولى رئاسة الوزراء في ظل سلطة أحمد شاه القاجارى آخر ملوك هذه الأسرة القاجارية وقد

أخذ رضا خان يدعم مركزه من وراء العرش وبتأييد من الجيش الإيراني والشرطه حتى استطاع ان يتخلص من النباه الضعيف ويعلم نفسه بموافقة المجلس النيابي ملكاً جديداً لإيران وفي ٢٥ أبريل - ١٩٢٦ ، احتفل بتنصيبه في احتفال كبير كعادة ملوك إيران في العصور السابقة وفور تسلمه السلطة اهتم رضا خان كثيراً باقامة جيش قوى مزود باحدث الأسلحة التي اسنوردها من فرنسا وزاد من ميزانية الجيش الى خمسة أضعاف ورفع عدده من ٤٠ ألف الى ١١٢ ألف كما اجتذب الضباط الى البلاط ووفر لهم معاشات مغرية وباعهم قطع أرض تملكها الدولة بأسعار اسمية ووضعهم في مراكز عليا .

ولقد كان هناك إعجاباً متبادلاً بين رضا خان ومصطفى كمال أتاتورك ظهر في الاستقبال الحافل الذي أعده الأخير لرضا خان عند زيارته لتركيا في يونيو حزيران ١٩٣٤ كما ظهر هذا الإعجاب منذ البداية عندما طرح رضا خان الفارسية مقابل الاسلامية محاولا التعالي على المسلمين باسم دولة فارسية حديثة وحاول أن يحد من الدور الذي يلعبه الدين في حياة الشعب الإيراني المسلم فاقام التشريع على أسس مدنية مستمداً قوانينه من القانون الفرنسي بدلا من الشريعة الاسلامية واستصدر قانوناً يمكن بمقتضاه تأميم الأراضي ومشروعات الري المملوكة لمؤسسات دينية وحد من المدارس الدينية وبدأ المندوبون الحكوميون يراقبون هذه المدارس لضبط عملية الفصل بين التدريس الديني والخدمة

العسكرية وعينت الحكومة أجهزة خاصة لإدارة الجوامع والأماكن الدينية وتنظيم انتقال الزاهبين الى الحج في مكة كما تولى الشاه حصر اتفاق الأوقاف الدينية وقرر شكل صرفها وفي عهده صار جندي من الدرك يصعد السطح وينفخ بوقه عند وقت الصلاة بدل الأذان وبات يقف شرطيان على باب كل مسجد تحت زعم إحلال النظام ومنع زحام الناس لدى الخروج ويروي أحد رجال الدين الإيرانيين في مذكراته أن « خدام الحضرة الشريفة الرضوية كلهم أو جلهم يلبسون العمائم قبل تملك البهلوي فلما تملك الزمهم بلبس القبعة البهلوية واللباس الأفرنجي إلا قليلا منهم .. »

كل هذا بالإضافة للحملة التي شنها تحت اسم تحرير المرأة فابتدأ عام ١٩٣٠ بنزع الحجاب والفائه وتحريم ارتدائه مبتدئاً بأسرته وفي عام ١٩٣٥ حظر الشاه بقرار منه على الفتيات والمعلمات وضع الحجاب على وجوههن ودخول مدارسهن به ومنع أيّاً من ضباط الجيش من الظهور في الأماكن العامة أو الشوارع برفقة امرأة محجبة مهما كانت صلتها وقرابتها به .

وبقى الشاه يسوس إيران هكذا حتى قامت الحرب العالمية الثانية ووقف بجانب ألمانيا رافضاً طلب الإنجليز والروس بطرد الألمان من بلاده مما حدا بالقوات البريطانية والسوفيتية دخول طهران في ١٧ - سبتمبر - ١٩٤١ - وأجبر الشاه بعدها على التنازل عن العرش لابنه محمد رضا

بهلوى وخرج من ايران حتى استتفر به المقام فى
 « جوهانسبرج » حتى توفى هناك فى ٢٥ يونيو - ١٩٤٤ ومن
 هناك حملت رفاتة للدفن فى مقابر الرفاعى بالقاهرة (وكان
 قبل ذلك قد زوج ابنه محمد رضا من الاميرة فوزية شقيقة
 الملك فاروق) .

وهكذا تسلم محمد رضا الحكم فى ١٦ سبتمبر - ١٩٤١
 وهو فى سن الحادية والعشرين وكان قد تلقى تعليمه الابتدائى
 فى المدرسة الحربية فى طهران والثانوى فى مدرسة « شالى »
 فى سويسرا ثم التحق بكلية الضباط بطهران وفى مايو ١٩٣٨
 حصل على رتبة ملازم مدفعية والتحق بالجيش الايرانى
 مفتشاً بالجيش .

وقد عاشت ايران منذ تولى الشاه الى تولى مصدق
 فترة من عدم الاستقرار والفوضى تحت ظل فساد سياسى
 كان يعم البلاد . . وفى هذه الفترة خاصة بعد انتهاء الحرب
 العالمية ظهرت الولايات المتحدة كقوة كبرى تسير فى فلكها
 مجموعة من الدول وقد وجدت أمريكا فى ايران ميداناً هاماً
 للتنافس السياسى لوفرة بترولها وقربها من الكتلة الشرقية
 ولدورها المرتقب والمأمول فى زعامة العالم الاسلامى والامكانية
 خلق قوة حربية تكون سنداً للعالم الغربى فى المنطقة وهذا
 ما سنتكلم عنه بتفصيل أكثر عند دراسة موقف أمريكا
 من الازمة .

وبعد دخول أمريكا بقليل برزت مشكلة تأمين البترول الذي كان خاضعاً للاحتكارات الانجليزية وقد رأى الدكتور مصدق رئيس الكتلة الوطنية ورئيس لجنة البترول في المجلس النيابي أن خير عمل تقوم به الدولة هو تأمين البترول ووقف رئيس الوزراء آنذاك (على رزم أراه) في وجه مصدق الذي كان يدعمه الزعيم الشيعي آية الله الكاشاني وقد قامت الجماهير باضطرابات ومظاهرات دامية ضد رئيس الوزراء وفي ٧ مارس (آذار) ١٩٥١ استطاع شاب مسلم يدعى خليل طهمسبي ينتمي الى منظمة « فدائيان اسلام » التي كان يتزعمها (نواب صفوى) . استطاع هذا الشاب ان يردى (على رزم أراه) قتيلاً في ساحة « مسجد شاه » في طهران ويومها أصدر نواب صفوى بياناً أعلن فيه ان البطل الذي قتل (رزم أراه) الخائن قد ادى واجبه .

وقد ايد الزعيم الاسلامي آية الله الكاشاني هذا العمل كما سبق الاشارة الى ذلك في الفصل الثاني .

واستمرت الازمة حتى جاء الدكتور مصدق الى رئاسة الوزراء في ٢٦ ابريل ١٩٥٠ ودخلت ايران مرحلة جديدة من تاريخها في مواجهة صريحة مع الاستعمار الانجليزي وبعد اربعة ايام فقط من تشكيل الوزارة أعلن الدكتور مصدق تأمين بترول ايران ثم قام بطرد الانجليز وحاول السيطرة على الجيش فطرد ١٣٠ ضابطاً كبيراً وشكل لجاناً للتحقيق في اختلاسات الكبار وجعل سلطة الشاه اسمية فقط مما

اضطر الشاه بعد ذلك الى الهرب خارج البلاد في ١٦ - ٨ - ١٩٥٣ ولكن ليعود بعد ستة أيام - عندما دبرت المخابرات الأمريكية انقلاباً عسكرياً ضد مصدق بقيادة الجنرال فضل الله زاهدى الذى عين بعد ذلك رئيساً للوزراء ليقود نظاماً دموياً رهيباً لتدعيم حكم الشاه .

وقبض على مصدق وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات وبعد ذلك القى القبض على الفدائى المسلم (خليل طهمسبى) والزعيم الايرانى (نواب صفوى) واعدهما .

وقبل الانتقال لدراسة طبيعة نظام الشاه الجديد نود أن نشير الى أنه برغم الحريات الديمقراطية التى حصل عليها الشعب اثناء فترة الحكومة الوطنية الا ان الحركة الوطنية لم تطرح المشكلة بشكل جذرى فلم تأخذ الحركة الاسلامية مكانتها المأمولة فى عملية التغير بصفتها الحركة الوحيدة المعبرة عن اصالة الجماهير المسلمة وقواعدها الشعبية فقد بقيت الحركة الوطنية خالية من أى مضمون اسلامى ثورى وانما مجرد طموحات برجوازية لم تدرس المشكلة بعمق مما جعل الانتهازيين ومحترفى السياسة يلتفون حول مصدق ورغم ان مصدق كان قد عين نفسه وزيراً للحربية الا انه لم يستطيع ان يتغلغل داخل الجيش الذى بقيت تناط به المهام التاريخية وهى ارجاع الشاه الى الحكم كما أوصل والده من قبله عام ١٩٢٥ .

الفصل الخامس

نظام الشاه (دراسة وتحليل)

عندما عاد الشاه محمد رضا بهلوى الى السلطة مرة اخرى بعد انقلاب الجنرال فضل الله زاهدى الذى دبرته المخابرات الأمريكية حاول بكل قواه السيطرة على الموقف فكانت السنوات من (١٩٥٣ - ١٩٦٠) هى سنوات تثبيت النظام وقمع الحركة الوطنية والاسلامية واعتمد الشاه فى سياسته الجديدة على عنصرين هامين الجيش والسافاك :

١ - الجيش : تنتمى الاسرة الملكية البهلوية الى عائلة محاربة فجد والد الشاه الأخير اى جد رضا خان كان ضابطاً فى الجيش الايرانى الذى حاصر مدينة (هرات) فى عهد الشاه (فتح على شاه) ثانى ملك قاجارى وقد قتل فى هذه المعركة .

وكان جده عباس على باوند بهلوى بدرجة نقيب واخ لجده يدعى نصر الله خان بدرجة مقدم ، أما والده رضا خان فقد التحق بالجيش وهو فى الثالثة عشر من عمره كجندي ترقى بعد فترة قصيرة الى رقيب .. واستمر حتى اصبح كولونيلاً وعن طريق الجيش اصبح رضا خان أول

ملك ينمى للأسرة البهلوية وعندما وصل السلطة أدرك رضا خان كرجل عسكري أهمية الجيش فتفرع لتنظيمه وتعزيز قوته بنفسه فضاعف من عدده وروده باحدث الأسلحة التي استوردها من باريس كما قرب الضباط الى البلاط وأغدق عليهم الأموال وعندما وصل الشاه محمد رضا الى السلطة عن طريق الجيش أدرك المهمات التاريخية التي يمكن ان تناط بالجيش الذي أوصل والده للسلطة عام ١٩٢٥ وتنفذ مشاريعه ومخططاته تحت حمايته وهاهو الجيش عام ١٩٥٣ يترجم بشكل واقعي وعلى يد زاهدي هذه المهمات ولهذا انتهج الشاه نفس خط والده في تدعيم الجيش كأهم الأسس التي يقوم عليها النظام فضاعف عدد القوات مرة أخرى فأصبح يتراوح بين ٣٠٠ ألف الى ٥٠٠ ألف جندي (عامل واحتياطي) واستقدم له أكثر من ١٥ ألف خبير أمريكي وعدداً آخر من الخبراء الاسرائيليين وكان من المنتظر أن يصل عدد الخبراء الأمريكيين عام ١٩٨٠ الى ٥٠ ألف خبير وكانت معظم المساعدات الأمريكية أثر سقوط مصدق والتي بلغت بين (١٩٥٤ - ١٩٦٠) حوالي ٩٥٠ مليون دولار من نصيب الجيش .

وانشأ الشاه قاعدة في بندر عباس ب ٢٠٠ مليون دولار وأخرى في شاه بيهار ب ٦٠٠ مليون دولار وحصل على تسهيلات بحرية في جزر المحيط الهندي وتدخل الى جانب السلطان قابوس ضد ثوار ظفار وكان من أحد أهداف هذا التدخل تدريب الجيش الإيراني على القتال ، هذا وتحتل

ايران حتى (١٩٧٨) المرتبة الرابعة بين دول العالم من حيث ارقام الانفاق العسكرية بعد الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وفرنسا وقبل بريطانيا ، وقد قفزت قيمة الانفاق العسكرية بشكل صاروخى فمن ١٤٤ مليون دولار عام ١٩٦٥ الى ٥٠٠ مليون دولار عام ١٩٦٨ الى (٢٠٠٠ مليون دولار) عام ١٩٧٣ الى ١٠ مليار دولار عام ١٩٧٦ ، كما نشر ان قيمة الانفاق العسكرية فى ميزانية ٧٨ / ٧٩ اضعاف هذا الرقم .

ولا تشمل هذه الارقام الانفاق على الساقاكه .

وينتظم الجيئى الابرانى الذى يتراوح بين ٣٠٠ الف الى ٥٠٠ الف كما ذكرنا فى ٣ فرق مدرعة و ٤ فرق مشاه (و ٤ فرق مستقلة ٢ مشاه ، وواحدة محمولة جواً وواحدة تسمى قوات خاصة ويملك هذا الجيش ٤ آلاف دبابة ، حوالى ١٥٠٠ قطعة مدفعية و ٦٥٠ مدفع مضاد للطائرات كما تملك البحرية الابرانية (٢٥ ألف جندى) ثلاث مدمرات حاملة للصواريخ وأربع فى فرقاطات وتسعة وعشرون قطعة بحرية أخرى وتتضمن طلبات الأسلحة البحرية التى تعاقدت عليها ايران الشاه أربع مدمرات ضخمة ، ١٤ سفينة حربية بالاضافة الى طائرات حربية بعيدة المدى وعدداً من الغواصات (من المانيا الغربية خاصة) .. أما سلاح الجو (١٠٠ ألف جندى فيملك ١٧٧ طائرة فانتوم بالاضافة الى ١٢٥ قاذفة (F.5) و ١٥ طائرة (F.14)

توماكتس التي توصف بانها احسن المقاتلات واكثرها تكلفه
كما يضم سلاح الجو ايضاً ٧٢ طائرة نقل ضخمة و ٧١ طائرة
خفيفة و ١٥١ هيلوكبتر وهناك بالاضافة الى ذلك قيادة
الجو التابعة للجيش وهى غير السلاح الجوى وتملك ٦١
طائرة و ٢٤٧ هليوكبتر وهى متعاقدة على طلب ٣٢٩
هيلوكبتر اخرى .. وحتى تتضح الصورة الضخمة للتسليح
الايرانى نقرا تصريح للنائب الديمقراطى الأمريكى لسن ايسن
- فبراير ١٩٧٧ « .. ان ٤٠ ٪ من جميع الذخائر التى
اوصى عليها ٦٠ بلداً من الولايات المتحدة مخصص لايران
وحدها .. ان ايران تصرف من الذخيرة بالنسبة لكل فرد
مسكى اكثر بكثير من الولايات المتحدة » .

ولكن لماذا كل هذا الاهتمام بالجيش .. أمن أجل احتلال
الخليج .. ان هذا الهدف لا يحتاج الى كل هذا البناء . أم
من أجل اقامة امبراطورية كسروية قوية فى المنطقة ؟ ...
أم من أجل اقامة مؤسسه ضخمة بدلة عن أى طبقة أو فئة
تسانده بحيث لا تستطيع أى طبقة أو فئة أن تعبر عن نفسها
الا من خلال الشاه نفسه .. وهل يمكن أن يكون الجيش
مقابلاً لنقمة الجماهير التى انفصل عنها الشاه .

٢ - الساقاك :

الأساس الثانى الذى يقوم عليه النظام هو « منظمة أمن
الدولة » وقد اسسها الجنرال بختيار (غير رئيس الوزراء)
تحت اشراف وكالة الاستخبارات الأمريكية (C.I.A)

نم بمعونة « الموساد » او الاستخبارات الاسرائيلية كما نشرت « الهيرالد تريبون ١٤ - ٧ - ١٩٧٨ » وقد منح وجود هذه المنظمة أهمية استثنائية لوزارة الداخلية وبلغ عدد العاملين فيها ١٠٠ ألف ويقرب هذا الرقم من نصف مليون في تقديرات أخرى ..

وقد ارتفعت حصة السافاك في موازنه ١٩٧٦ الى أكثر من مليار دولار وتسلل السافاك الى كل شيء وبشكل خرافي فهو موجود في الجيش والاحزاب وبين الطلبة ورجال الدين حتى أن الامام الخميني يقول عن الفقهاء الذين يدعون للسلطان « .. وقسم منهم قد البستهم دوائر الأمن والاستخبارات العمائم .. » الحكومة الاسلامبة ص ١٤٣

وتجبر السلطة الكثير من المصانع على تشغيل بعض عناصر السافاك لتسهيل مهمة التغفل بين صفوف العمال كما تدير السافاك شبكة بوليسية يحسب لها حساب في الخارج حيث يتواجد الطلبة الايرانيون وربما لهذا السبب كنا نرى الطلبة الايرانيين الذين يتظاهرون ضد الشاه في الخارج وحتى فترة قريبة يلبسون الاقنعة ويخفون وجوههم .

ومن ثمار عمل هذه المنظمة آلاف المعتقلين في السجون الذين يصلون في أقل التقديرات الى عشرة آلاف وفي بعضها الى ٣٠٠ ألف معتقل وايا كان الرقم فايران تعتبر من أكثر بلدان العالم فظاظة ووحشية في التعامل مع المعتقلين وبسبب وجود السافاك نجد أن المقر الأول للاستخبارات الأمريكية

في المنطقة هو طهران وهذا ما أعلنه (فيكتور مارشين وهو مسئول سابق في وكالة الاستخبارات الأمريكية) وذلك في مؤتمر صحفي عقده في لندن (٥ - ٩ ٧٤) بمناسبة صدور كتاب له عن (C.I.A) حيث أعلن أن الوكالة نقلت مقرها من أثينا الى طهران نظراً لأهمية إيران ولتغير النظام في اليونان .

هذا وقد دفعت الأحداث الأخيرة شاه إيران الى اقالة رئيس السافاك الجنرال نعمة الله نصري ربما لامتناس نعمة الجماهير وربما لأن نصري لم يتوقع مسبقاً حدوث الاضطرابات خاصة التي بدأت في « قم » ولم يستطع القضاء عليها قبل اشتعالها وقد عين مكانه الجنرال « ناصر مقدم » رئيس الاستخبارات العسكرية .

وتتهم الثورة الاسلامية السافاك بأنها كانت وراء الحريق الذي اشتعل داخل سينما « ركس » في ميدان عبادان في ٢٠ أغسطس - ١٩٧٨ وارتفع عدد ضحاياه الى ٣٠ قتيلًا محاولة (السافاك) عكس الهجوم عن طريق التكتيك المضاد وقد أصدر الطلبة الإيرانيون في باريس بياناً جاء فيه « ان هذه الجريمة الشنعاء ذات ابعاد كبيرة ارتكبتها نظام الشاه الذي يتبع بالضبط اساليب النظام الهتلري » مشيرين بذلك الى الحريق الذي احدثه هتلر في « الرايشتاغ » الألماني وكان حريقاً كبيراً ما لبث أن اتهم خصومه بافتعاله وقام بالتالي بتصفيتهم تصفية سريعة وقد روى السيد

(صادق قطب راده) أحد المسؤولين الاعلاميين في الحركة الاسلامية لصحيفة « النهار العربي والدولى » تفاصيل الحادث كما يلى .. « جاء البوليس واحاط بالسينما قبل ساعة من وقوع الحادث متظاهرا بانه هناك عناصر هدامه في الصالة ويقول حراس السينما ان البوليس اخذ المفاتيح طالبا منهم الانصراف الى منازلهم وبعد نصف ساعة من مجيء البوليس خرج ستة أشخاص من السينما فلم توقفهم الشرطة ، بعدها بدقائق اخلى البوليس الساحة واختفى نم اندلعت النيران من دون أن يستطيع أحد الخروج ومعلوماتنا تقول أن عدد الضحايا ارتفع الى ٧٠٠ » ويضيف السيد صادق « أولا مركز البوليس فى عبدان يقع على بعد ٢٠٠ م من السينما فلماذا لم تهرع الشرطة الى مكان الحادث خاصة انها تستطيع أن ترى النيران المستعلة ؟ قائد البوليس فى منطقة عبدان الجنرال رازمى كان كولونيلا منذ ستة اشهر فى مدينة « قم » الدينية . وهناك نفذ جريمته الأولى بعدها تم نقله بلقب جنرال الى عبدان . ان الحرائق لم تشتمل فى السينما بسبب قبلة عادية ، لقد وضعت فى الصالة قنابل حراقه وهذه القنابل لا يملك مثلها فى ايران سوى أفراد الشرطة والجيش ، فى عبدان اهم فرق الاطفاء لان عبدان فيها مصافى النفط ويقع مركز الاطفائية على بعد كيلو متر واحد من السينما فلماذا لم تات سيارات الاطفاء الا بعد ثلاث ساعات والسيارة التى وصلت أولا كانت فارغة من الماء ؟ .. »

هذه احدى ثمار الساقاك الأساس الثانى الذى اعتمد عليه الشاه بعد الجيش ، قد نفهم ان يحاول نظام ينهار ان يدافع عن نفسه .. ولكن الى هذا الحد وبهذا الشكل الدموى الرهيب !!

٢

كتب الشاه محمد رضا مرة يقول : « كان أبى معجباً بـماضى فارس المجيد حريصاً على صيانة مالا يتعارض مع التقدم من تقاليدنا الموروثة ، ولكنه كان شديد الاقتناع بأن استقلال الأرض وسيادة الأمة ورفاهية الشعب أمور لا سبيل لها الا بالتمثل العاجل بالقرب » .

هكذا كان يفكر رضا خان وهكذا استمر الشاه على نحو اوسع فى الوقت الذى كانت الجماهير تحافظ وتمسك بايديولوجيتها الاسلامية ومن هنا حدث التناقض مع نظام الشاه الليبرالى وفى الوقت الذى كانت الأنظمة الليبرالية تنهار فى المنطقة بعد أن فقدت مبرر وجودها وذلك لتخلي الساحة للانقلابات العسكرية التى كانت فى اعمها محاولة اخرى من الاستعمار للحفاظ على وجوده واستمراريته فى هذا الوقت حاول الشاه انقاذ نظامه الليبرالى من الانهيار بافتعال الثورة من داخل النظام او الثورة من فوق فأعلن « الثورة البيضاء » فى ١٩ مايو - ١٩٦١ وجه نداءً الى الشعب الايرانى يعتبر اول شرارة فى ثورته وطلب من المجلس

النيابى اعطائه صلاحيات استثنائية حتى يستطيع تنفيذ برنامجة الشورى او الاصلاح (يلاحظ أن أغلب الأنظمة العسكرية قامت للحصول أيضاً على صلاحيات استثنائية) وقد اختار للعمل معه كرئيس للوزراء الدكتور على امينى وزير مالية مصدق وابن خالته فى نفس الوقت والذي كان يتمتع بدهاء سياسى واضح . وفى ٢٦ يناير - ١٩٦٣ استطاع الشاه الحصول على تأييد البرلمان (المزيف طبقاً) لثورته وأعلن الفناء الاقطاع والتصديق على قانون الاصلاح الزراعى وتأمين جميع الغابات والمراعى فى البلاد واشراك العمال فى صافى الارباح وتعديل قانون الانتخاب بحيث أعطى المرأة حقها فى الانتخاب واعلن عن انشاء كتائب التعليم الاجبارى وانشاء دور العدل فى الأقاليم (بيوت الانصاف) .

وفى ٦ - اكتوبر - ١٩٦٧ أعلن استمرار ثورته البيضاء باصدار ثلاثة مبادئ جديدة :

- ١ - تأمين لمصادر المياه السطحية والجوفية فى ايران .
- ٢ - اعادة بناء كل مرافق ودور الحكومة وبحيث تتمشى مع روح العصر .
- ٣ - الثورة فى الادارة والتعليم .

وفى حين بدأ ثورته البيضاء هذه وضع خطة للتصنيع ضخمة وطموحة كل هذا من أجل أن تصبح ايران الفارسية

العلمانية القوة الثالثة في العالم أو اليابان الجديدة واستمرارا في طرح برنامجه عطل المادة الدستورية التي تنص على مراقبة علماء المسلمين للدستور والقوانين وعدم سن أى قانون يخالف الشريعة الإسلامية ، وفي الحين الذى كانت تصرف فيه اموال الأوقاف الاسلامية على المساجد ومعاهد العلم صادر هذه الأوقاف بحجة الاصلاح الزراعى .

وقبل أن ننظر في حقيقة هذه الثورة و نتائجها نشر الى ان الامام الخميني رفض خطوات الشاه هذه منطلقاً من قناعته بأن السلطة الايرانية المرتبطة أساساً بالاستعمار والتابعة له إنما تصدر في كل ممارساتها عن توجيهاته وانه (أى الامام الخميني) ليس ضد الاصلاح ولكنه يرفض التنازل عن الأرض لحساب السماسره والعملاء والبهائيين ، وانه ضد السيطرة الأمريكية ، ضد الدكتاتوريه والارهاب والتجويع ، ضد تحطيم الثقل الاقتصادي والهيبة الاسلامية للعلماء .

ومنذ البداية يطالعا التصور الخاطيء للشاه عن الثورة والتطوير فالدخول الى عصر التصنيع وعالم القوة لا يتحقق بمجرد الرغبة أو بالمال والاعلام فقط أى لا يتحقق بمجرد توافر بعض الشروط الموضوعية . ان الثورة هى عملية تغير شامل تحتاج لمناخ خاص سياسياً ونفسياً يقنع الجماهير لتضحي بالحلول المؤقتة وتعبئتها لمعركة طويلة الأمد ، فايران كدولة من دول العالم الثالث لا تملك مستعمرات تنهبها وتدفع ثمن التكنولوجيا ، والتعبئة المطلوبة لن تكون بمعزل عن ايديولوجية الجماهير . . ولن تكون بمعزل عن الاسلام

أى أن الثورة الحقيقية في العالم الإسلامي لا يمكن أن تنفصل
عن الإسلام بأي شكل من الأشكال .

هذا من ناحية . أما من الناحية الأخرى وهى أن النظام
الإيراني استعان بالتكنولوجيا الغربية المنقوفة التى جلبتها
الشركات التى دخلت البلاد ، رغبة في تحقيق معدل تنمية
مرتفع بسرعة شديدة غير أن هذه الاستعانة بالشركات
الرأسمالية العالمية التى جعلت من الاقتصاد الإيراني مجرد
امتداد هامشي للسوق الرأسمالية يخضع لتذبذباتها وفى
نفس الوقت غير قادر على الوقوف في وجه الاحتكارات
العالمية ومن جانب آخر تم التركيز على بذل استثمارات
ضخمة في حقله من المشروعات الصناعية الكبرى التى
تستعين بمسئولى تكنولوجيا مرتفع دون العمل على تنمية بقية
الصناعات بصورة متوازنة ، **والآن ماذا يقول خبراء الاقتصاد**
في الاقتصاد الإيراني ؟ . يقول الاقتصادى البريطانى (فريد
هوليداي) مؤلف كتاب « الامبريالية العالمية » : (لدى تحليل
الاقتصاد الإيراني تبدو التوقعات مظلمة دون شك ولا تقصد
أن كارثة ما ستحدث ولكنها على الأقل سنجعل من الحديث
عن « بابان جديدة » والحق بأوروبا مجرد كلام لا مغزى له)

ويقول تقرير لمعهد (هوستون) الأمريكى في أوائل عام
١٩٧٧ « حتى إذا تحققت هذه الأهداف خلال السنوات العشر
الآخرة من القرن الحالى فإن إيران لن يكون الا صرحا

صناعيا لم يكتمل بناؤه بعد . تعلوه زخارف السلطة وقوة التأثير الدولي دوّما جوهر حقيقى سواء للسلطة او القوة »

وتقول النشرة السنوية للنرق الأوسط الصادرة عن دائرة أبحاث مجلة الايكونومست البريطانية ١٩٧٧ « ليس كل شىء حقاً كما يبدو للوهلة الاولى على الصعيد الاقتصادى فوراء الازدهار الواسع فى السنوات الماضية والتي سجلت ايران خلالها بنبات واحد من أعلى المعدلات الانتاجية الفوقية فى العالم (بسبب ارتفاع عائدات النفط فى تلك السنوات بعد ٧٣) توجد نواقض جذرية فى البنيان الاقتصادى ذات دلالات متوسط وبعبدة المدى وتشير الأرقام الاخيرة الى أن نمو الانتاج القومى الاجمالى قد توقف من الناحية العملية ، ان حقيقة ان ايران تسير بميزانية ذات عجز يزيد قليلا عن ٢٠٠٠ مليون دولار فى السنة المالية (٧٦ - ١٩٧٧) وهى تخطط لاستدانة ١٠٠٠ مليون على الأقل من الخارج هذه الحقيقة ليست بحد ذاتها كبيرة الأهمية ولكن ما يقلق المخططين فى ايران هو أن الهوة بين مداخيل النقد الاجنبى ومدفوعات تتقارب بسرعة والسلطات منزعجة من حجم رأس المال الخاص الذى يغادر البلاد فقد كان فائض ميزان المدفوعات الكلى فى السنة المنتهية بتاريخ ٢٠ مارس (ازار) ١٩٧٥ يبلغ ٥٠٠٠ مليون دولار ولكن بعد عام واحد كان هناك نقص كلى يبلغ حوالى (١٠٠٠ مليون دولار) ولا بد أن يزداد النقص خلال العام الحالى والواقع انه اذا استمر ارتفاع المدفوعات الجارية الى نفس المبلغ الذى وصلته فى عام (٧٥ - ٧٦) فان

من الممكن حدوث عجز في الحساب الجارى يصل الى ٣٥٠٠ مليون دولار .

ونستطيع أن نضيف الى كل هذا :

١ - توسيع مجال الاستهلاك خاصة الاستهلاك الترفى فقد ارتفع حجم السلع المستوردة بنسبة ٧٧ ٪ حسب احصاء رسمى لوزارة الخارجية الايرانية لتصبح حجمها عام ٧٦ (٦٧٠٠ مليون دولار) قد ساعد هذا التعاضم الشديد للواردات وارتفاع اسعارها الى حدوث تضخم بلغ ٢٠ ٪ في السنوات الأخيرة الأمر الذى كلف الشعب الايرانى كثيراً خاصة وان هذا التضخم ساعد على ازدياد الفوارق الهائلة في مستويات المعيشة بين الفقراء والأغنياء .

٢ - في القطاع الزراعى الذى يعيش عليه ٥٣ ٪ من السكان لم تحقق الثورة البيضاء الا فشلاً اقتصادياً ذريعاً فقد كان الأهمال من نصيب الزراعة التقليدية ، هذا الأهمال الذى أدى الى عجز النظام عن استيعاب الزراعة فى عملية نموه الراسمالى بل اضطرت ايران التى كانت مكتفية ذاتياً فى الطعام الى استيراد ٦٠ ٪ من استهلاكها من المواد الغذائية وانتشرت البطالة فى الريف بين مليون ونصف عائلة لم تحصل على أى نصيب فى الأرض فى برنامج الإصلاح الزراعى ، هذا ولا يزيد معدل الانتاج الزراعى عن ٢ ٪ وهى اقل من نسبة زيادة السكان .

٣ - فى القطاع الصناعى اعترى أوجه الصناعة ضعف واضح ولم تستطع الزيادة الكمية الحادثة فى الانتاج الصناعى

أن تراحم البضائع المستوردة بسبب تدنى مستواها وبيعيت مجموعة الصناعيين الإيرانيين مرتبطة بالمراكز الصناعية والمالية المتقدمة ولم تستطع هذه المجموعة رغم قوتها النسبية أن تفلت من اسار الشركات الاحتكارية العملاقة متعددة الجنسية .

٤ - في الجانب الاجتماعي : نرى تفاقماً في الفروق الهائلة في مستويات المعيشة واختلال في توزيع الدخل ويتساءل الشاه في حديث له مع التايم الأمريكية « .. لأبد أن هناك خطأ ما .. اذ كيف يرتفع دخل الفرد من ١٦٠ دولار في السنة الى ٢٣٠٠ دولار وتكون النتيجة هي هذا الرفض » . متناسياً أن هذا الارتفاع في الدخل هو رقم نظري يمثل زيادة دخل الدولة فقط ولا يمثل ارتفاع حقيقي في القدرة الشرائية لأفراد الشعب ومتناسياً أيضاً أن ١٠ / من السكان يملكون ٤٠ / من الدخل القومي وأن متوسط الدخل للفرد في الريف لا يزيد عن ٢٠٠ دولار سنوياً .

٣

وهكذا ما أن شارف عام ١٩٧٧ على الانتهاء حتى وجد نظام الشاه نفسه في مواجهة مشاكل داخلية متعددة :

١ - برامج التنمية المتعثرة بسبب ارتباطها بالاحتكارات العالمية من ناحية وبسبب اعلانها دون تعبئة ايدولوجية

للجماهير ، هذه التعبئة التى بدونها يصبح نجاح البرامج شبه مستحيل خاصة فى دول العالم الثالث النامية ، ويحد من ظهور هذا التعثر بشكل حاد عائدات النفط الضخمة .

٢ - مشكلة التبديد والتبذير الذى يقلل من امكانية النظام فى الاستثمار ويصل هذا التبديد قمته فى الاسراف على تسئون الجيش والسافاك وحفلات القصر ولا زال الجميع يذكر الاحتفال بذكرى مرور ٢٥ قرن على ظهور امبراطورية الفرس هذا الحفل الذى كان الطعام الفاخر يجلب الى الضيوف من مطعم « مكسيم » بباريس فى وسط جو اسطورى صنعه الشاه حول نفسه كما يظهر التبديد فى التحويلات الهائلة للخارج لصالح الشركات الأجنبية ولصالح الطبقة الحاكمة من أمراء وأميرات وكبار الضباط الذين قيل انهم هربوا أخيراً ٢٤٠٠ مليون دولار ويكفى ان نعرف ان جنرالا واحداً من أعضاء الحكومة العسكرية السابقة هرب للخارج ١٧ مليون دولار .

٣ - وهناك مشكلة الاقليات البلوخستانية والعربية والكردية. هذه الاقليات التى لن تلتقى وتنصهر الا من خلال العقيدة الاسلامية التى يطالب الامام الخمينى بتحكيمةا وليس من خلال نظريات « التفريس » التى يطرحها الشاه اى ان الاقليات تشكل خطراً دائماً طالما أن سياسة (التفريس) قائمة ويشعر الشاه بالتخوف من تكرار تجربة بنغلاديش .

٤ - والمشكلة الداخلية الأخيرة التي يعاني منها نظام الشاه هي أزمة الديمقراطية ، فالشاه يرى أن الديمقراطية والجدل الحر حول القضايا القومية هما من الأمور التي لا تستطيع إيران تحملها حالياً !! - ويقول في عام ١٩٦٩ : « وأخيراً فقد بلغ بى السخط حداً قررت معه التخلي عن الديمقراطية والعمل عبر المراسيم » وعندما انشأ حزب « راستاخيز » كان المعيار الوحيد لعضويته هو الولاء للدستور والملكية والثورة البيضاء وخارج حزب راستاخيز كما يقول الشاه لم يعد هناك متسع للحياة السياسي ، والذي لا يدعم الحزب امامه خياران اما السجن واما مغادرة البلاد نهائياً وتقوم السافاك بترجمة هذه المفاهيم بطريقتها الخاصة من خلال ممارسة دموية رهيبة ضد الشعب الإيراني بكافة اتجاهاته وفئاته .

الفصل السادس

المعارضة والاقليات

في الوقت الذي ترى فيه الماركسية ان الحزب هو تعبير عن مصلحة طبقة محددة وان الكيانات التنظيمية تنطلق دائماً من نشاط شرائح اجتماعية محددة ايضاً ، نرى الواقع الايراني يحطم هذه النظرية ويهزأ بكل مقولات وشروح الماركسيين حولها فالحزب الشيوعي الايراني نفسه ليس اكثر من تجمع لبعض المثقفين البرجوازيين في الحين الذي يفترض فيه ان يمثل العمال والكادحين الذين نجدهم ينتمون كلية للحركة الاسلامية ، الحركة التي يقودها الزعماء الدينيون الذين هاجمتهم صحيفة « البرافدا » في وقت سابق واتهمتهم أنهم سبب الاضطرابات بسبب معارضتهم لاصلاحات الشاه الخاصة بتحديد الملكية « التي ضربت مصالح كبار رجال الدين » والحركة الاسلامية تضم غالبية الجماهير الايرانية على أساس فئوي وطبقي فهناك العمال والفلاحين والطلبة واساتذة الجامعات والفنيين وهناك الفقراء والأغنياء ومتوسطى الحال اجتمعوا جميعاً تحت غطاء الايديولوجية الاسلامية التي تعبر عن ثقافتهم واصالتهم ومصالحهم في نفس الوقت . وعندما نتكلم عن المعارضة

وفصائلها فيجب أن نأخذ في الاعتبار أنه حتى التنظيمات التي في خارج الحركة الإسلامية لا يستطيع أغلبها العمل في البلاد دون أن يحصل على ثقة وموافقة الزعامة الدينية .

٢ - الحركة الإسلامية :

تدين جماهير الشيعة بالولاء لعدد من رجال الدين والعلماء المجتهدين ويسمى هذا العالم المجتهد بالمرجع الديني الذي يحصل على « اجازة » من مجتهد أكبر منه بتعليم الدين والافتاء وتأليف « رسالة » ويوجد في العالم الاسلامي حوالى عشر مراجع منهم شريعة الله مدارى وآية الله الخميني والسيد ابو القاسم الخوئي وشهاب الدين النجفي المرعشي وغولبا بيكاني ومحمد الشيرازي « المقيم في الكويت » ومحمد الخنساري .

ولكن الزعامة العليا تنقسم بين آية الله الخميني الذي يرجع اليه اكثر المسلمين الشيعة في امورهم في ايران والباكستان والهند وأفغانستان والسيد ابو القاسم الخوئي المرجع الأعلى في العراق . وغالبا ما يقوم نفوذ المرجع الديني ليس على تفقحه الواسع في الدين فقط بل أيضاً لتصديه للمسائل التي تهم غالبية الجماهير ومن هنا فان عظمة آية الله الكاشاني المرجع الأكبر اثناء حركة مصدق لم تكن بسبب علمه الجم فقط بل بسبب مواقفه السياسية كما تعود شعبية الامام الخميني بسبب جراته في تبني ثورة

١٩٦٣ وتصدية للتساه وقيادته للتنظيمات الاسلامية
السياسية فى داخل وخارج ايران .

وفى الوقت الذى يقابل النجف الانرف فى العراق
الفاتيكان الى حد كبير فان المرجع الدينى يقابل الكاردينال
ويتجمع حول كل مرجع دينى حوزة علمية وأهم الحوزات
فى ايران توجد فى قم تليها حوزات خراسان وطهران
واصفهان ويزد وتبريز . وتدرس العلوم الاسلامية فى هذه
الحوزات التى تعتمد الاجتهاد فى مواجهة كل المواضيع ذات
الصلة بالتشريع الاسلامى ويقدر عدد المنتسبين الى الحوزات
الستة المذكورة حوالى ١٦٠ ألف صاحب عمامة وبعد أن
ينخرج طالب العلم من هذه الحوزة يختار أحد ثلاثة اتجاهات

١ - خطيب منبر ويسمى بالمنبر الحسينى نسبة للامام
الحسين بن على ويتناول هذا الخطيب موضوعاً سياسياً
ينكلم فيه فترة ساعة أو ساعتين (يوم الجمعة) .

٢ - امام مسجد : وهذا لا يكتفى بامامة المصلين والقيام
بالشعائر التعبدية فقط فهو يعطى أيضاً الدروس ويكون
مسؤولاً عن القرية والمنطقة التى يقطن بها يتفاعل مع أهلها
دينياً ودينوياً ويصرف شئون أهلها .

٣ - مدرس : وينمو هذا المدرس بعلمه حتى يحصل
على اجازة من المجتهد الكبير لتعليم الدين واعداد رسالة
يصبح بعدها مرجعاً دينياً .

ويتغلغل أصحاب هذه الاتجاهات الثلاثة بين صفوف الجماهير مؤثرين في حياتهم بشكل يفوق تأثير الحكومة فهم يقومون بتقديم المساعدات الاقتصادية عن طريق البنوك اللاربوية التي يقيمونها ويساعدون السباب على الزواج وتأثيث البيوت وكذلك جمع الخمس الذي يعتبر بالاضافة لموارد الأوقاف الدينية مصدراً للاتفاق . وقد كان للمرجعية الكبرى في قم اتصالات بالشاه نفسه في فترة مرجعية الامام حسن الطباطبائي البروجردى فقد قيل أن الشاه كان يأتي سراً لمقابلة الامام في مقره بمدينة قم ولم يكن يدري أحد بما كان يدور بين الامام والشاه وان كان قد عرف أن للامام ثلاث رسل يتصلون بالشاه وهم الشيخ الفلسفى والشيخ احمد والامام آية الله الخمينى ولقد حاول الشاه دوماً تقليص سلطة رجال الدين ولكن رغم الضربة التي وجهها لهم بتصفية ملكياتهم الكبيرة ومحاولة توزيع هذه الملكيات على الملاك المتوسطين ساعياً لايجاد طبقة جديدة يستعين بهم لتقويض نفوذ رجال الدين الا أن هذه الطبقة الجديدة استمرت حليفة مخلصه لرجال الدين تحت غطاء الايديولوجية الاسلامية التي تملأ نفوس وواقع المسلمين في ايران . ولقد ظهرت في اوساط الحركة الاسلامية الايرانية أكثر من منظمة فدائية نذكر منها منظمة « فدائيان اسلام » التي يقول عنها « برنارد لويس » في كتابه « الغرب والشرق الأوسط » انهم يحملون فكرة عن الوحدة الاسلامية تماثل الى حد كبير فكرة الاخوان المسلمين وقد تزعم هذه المنظمة شاب مؤمن

متحمس يدعى نواب صفوى وهو فى سن التاسعة والعشرين وقد حاولت هذه المنظمة الاشتراك فى حرب فلسطين حيث لبس رجالها اكفانهم واستعدوا للزحف الى هناك الا ان الهدنة التى وقعها العرب مع اليهود اوقفتهم .

وقاومت فدائيان اسلام النفوذ البريطانى ووقفوا بجانب مصدق اثناء أزمة البترول وقتلوا ايامها رئيس الوزراء الايرانى (رزم اراه) الذى عارض تأميم البترول .

ويصف صحفى مصرى « فدائيان اسلام » عام ١٩٥١ بانها اكبر جمعية ارهابية فى الشرق ! . وكان نواب صفوى يرفع شعار « لا طائفية بين المسلمين » اى لا شيعة ولا سنة، وانه لا تعارض بين الاسلام والوطنية وفى حديث له لمجلة « المسلمون » قال نواب : « لنعمل متحدين للاسلام ولننس كل ما عدا جهادنا فى سبيل عز الاسلام . . الم بأن للمسلمين ان يفهموا ويدعوا الانقسام الى شيعة وسنة لينظروا جميعاً فى كتاب ربهم وهو كفيل بتوحيدهم حتى يكونوا جبهة قوية متحدة امام أعدائهم المتربصين وأن الآلام والتضحيات التى يتحملونها فى سبيل هدفهم المشترك سوف يكون لها الأثر الفعال فى جميع القلوب » .

ولقد بقى نواب صفوى معارضاً للشاه حتى سقط برصاصة فى ١٨ - ١ - ١٩٥٦ .

تم ظهرت من بداية الستينات منظمة أخرى استخدمت العنف أيضاً ضد السلطة وهي « منظمة فلسطين » وبدل اختيار الاسم على ما بين القدس وطهران من مسافة وما بين الشاه واسرائيل من غزل وقح يدل على وعى الحركة الاسلامية في ايران بخطورة اسرائيل كدولة استعمارية تجسد التحدى الصليبي واليهودي ضد الاسلام في هذا القرن ولقد طاردت منظمة الساقاك هذه المنظمة بعنف وشراسة ويعتقد أن النظام استطاع تصفية هذه المنظمة الاسلامية التي كان لها دوراً كبيراً وصدى واسعاً في اوساط الحركة الطلابية ومن المنظمات الاسلامية الأخرى منظمة « جاما » الاسلامية التي بدأت عملها المسلح بعد أحداث - ١٩٦٣ - اغتيال أحد أعضائها « محمد بخارائي » رئيس الوزراء الأسبق حسن على منصور .

وكذلك منظمة « مجاهدي الشعب » التي انطلقت على أساس الايديولوجية الاسلامية الثورية وكان من قادتها حنيف بوخاد ، وأحمد رضائي ، ومهدي رضائي ، وسعيد محسن الذين أعدموا من قبل الشاه ، ويشير توضيح نشر باسم رجال الدين المناضلون الايرانيون في بيروت ١٠ - ٩ - ١٩٧٨ أن هذه المنظمة تخلت عن الايديولوجية الاسلامية بعد أعدام قادتها لصالح الفكر الماركسي ولقد توقف الدعم الشعبي عن هذه المنظمة كما يشير التوضيح فقامت بالتصفية الجسدية لعدد من القياديين الذين رفضوا التخلي عن الايديولوجية الاسلامية مثل حمدي لباف ومجيد شريف

واقفى ، كما كشفوا للسلطة عن أمر الامام الطلفانى الذى يدعم المنظمة .

٢ - الجبهة الوطنية :

أسس هذه الجبهة الدكتور محمد مصدق عام ١٩٥٠ وكان وقتها يرأس لجنة البترول فى المجلس النيابى وسلكت هذه الجبهة أساليب النضال البرلمانى والسلمية للوصول الى السلطة وفلا شكل الدكتور مصدق الذى وصل الى البرلمان عن طريق الانتخابات حكومة وطنية هى الوحيدة المنتخبة فى عهد الشاه وذلك فى ابريل ١٩٥١ ورفعت هذه الحكومة شعار تأميم النفط وخاض مصدق فعلا معركة التأميم ضد الاحتكارات العالمية وطرد الانجليز عام ١٩٥٢ وطهر الجيش وخفف مدة الخدمة العسكرية وشكل لجانا لتحقيق فى اختلاسات الضباط الكبار وغيرها واراد جعل الشاه ملكا دستورياً اسماً فقط ولكن مصدق وجد نفسه فى نهاية الأمر فى موقف من الاضطراب والفوضى لا يحسد عليه حتى أن حزب توده الشيوعى سحب تأييده له وهاجمه متهماً اياه بالعجرفة والتطرف وبانه لا يعرف قمة رأسه من أخمض قدميه على حد تعبير الحزب . وفى ظل هذه الظروف قام الجنرال زاهدى بانقلابه الشهير وهكذا سقط مصدق الذى قبض عليه وحوكم بعد أن بطش زاهدى بالجبهة التى تفككت بعد ذلك لتعود على يد أنصار مصدق ففى ٢١ تموز - ١٩٦٠ أعلن المحامى حسن نزيه امام ١٠٠٠ شخص من المجتمعين فى

بيت الزعيم الديني الفيروز ابادى عودة الجبهة الى الساحة وفي ١٩٦٢ أعلنت الجبهة التي عرفت بالجبهة الثانية ميثاقها الجديد الذي يطالب باعادة النظام الدستوري وبعدم تدخل الشاه في شئون الحكم وبحل السافاك وضمان الحريات العامة والفردية الى ان الجبهة عادت فتفككت مرة أخرى لتنفصل عنها حركة تحرير ايران و يعلن المصدقون عن قيام الجبهة الثالثة التي بقيت سريه حتى اعلنت عن نفسها يوم ٢٨ - اغسطس - ٧٨ بعد ان سمحت حكومة جعفر شريف امامى بعودة الأحزاب وقد عادت بقيادة كريم سنجابی وقد طرح سنجابی بعد عودته حلاً وسطاً للامزة وهو الحد من سلطات الشاه ضمن ملكية دستورية الا انه بعد تهديد الخميني له بطرده من حركة المعارضة وبعد الحوار الذي دار بينه وبين الخميني في باريس في نوفمبر ٧٨ خرج سنجابی أكثر راديكالية رافعاً شعارات الخميني وقد اعتقل سنجابی في ٢١ نوفمبر ثم افرج عنه في وقت لاحق .

٣ - اليسار :

(١) حزب تودا الشيوعي : تأسس هذا الحزب يوم ٢٠ - أكتوبر - ١٩٤١ عندما فر رضا شاه من ايران وأثناء تمركز القوات السوفيتية في المنطقة الشمالية لايران خلال الحرب العالمية الثانية وشكل الحزب لجنة مركزية من ١٥ عضواً تولى أمانتها العامة (سليمان مارزا اسكندري) .. وقد تبنت القوات السوفيتية حزب تودة واحتضنت

قادته وبدأ يعمل بشكل علنى فى شمال البلاد وسرا فى بنية المناطق وقد ساعد نردى الأوضاع الاجتماعية فى الشمال حيث ساعد وجود الملكيات الزراعية الكبيرة على انتشار مبادئ الحزب كما ساعد على ذلك أيضا فساد الإدارة المركزية والزعماء السياسيون الذين سقطوا فى أعين طبقات الشعب ومن جهة أخرى كان حزب تودا يعلن نفسه كحزب اشتراكى غير مرتبط بالشيوعية أو أى دولة تعتنق المذهب الشيوعى أو الاشتراكى كما استطاع الحزب جذب عناصر برجوازية عديدة اليه وتحت ظل تنظيم دقيق للغاية .

فقد استطاع جعفر بيشوارى قيادة حزب تودة فى الشمال وغير اسمه الى الحزب الديمقراطي الاذربيجانى وفى ديسمبر ١٩٥٤ طرد بيشوارى محافظ اقليم اذربيجان المعين من قبل الشاه وأقام مجلس محلى ينتمى الى حزبه وشكل حكومة تحت رئاسه . . وقد فامت القوات السوفيتية بحماية هذه الحكومة ووافقت تقدم القوات المركزية المتقدمة وقتها للقضاء عليها وعندما تولى أحمد قوام السلطنة رئاسة الوزراء فى فبراير ١٩٤٦ أظهر ميلا لمساومة السوفيت واشرك حزب تودة كوزراء معه . . وكان يرسل بعضهم لدول العالم لشرح قضية بلاده امام التدخل السوفيتى وهكذا أحدث شرخاً داخل حزب تودة وأظهره امام الشعب الايرانى بمظهر العميل للاتحاد السوفيتى وفى ١٥ ديسمبر ١٩٤٥ تمكنت القوات الايرانية المركزية بحركة خاطفة من اسقاط المنشقين حيث هرب زعمائهم الى الاتحاد السوفيتى ولقد بقى حزب

تودة قوياً حتى ١٩٥٤ لكن خلافة مع مصدق والضربات التي وجهها الشاه له بعد عودته للحكم عن طريق ملاحقة السافاك المستمرة أدت الى اضعافه كثيراً . . ورغم اعلان الحزب دائماً انه حزب العمال والفلاحين الا انه لم ينجح في اقامة قواعد جماهيرية له وبقي منبوذاً بين الأوساط الشعبية على اختلاف طبقاتها وجل أعضائه من المثقفين البرجوازيين وقد عارض حزب توده الحركة الشعبية بسبب قيادتها الاسلامية ورفعها للشعارات الاسلامية ولكنهم لم يجدوا بداً في النهاية من السير في خط الثورة حتى لا يظهرهم بمظهر أعداء الشعب وتتهم الحركة الاسلامية حزب تودة بالعمالة للاتحاد السوفيتي وخيانة القضية الوطنية وترفض التعاون معه .

(ب) حركات يسارية أخرى :

بالإضافة الى حزب تودة هناك فريق ماوى أنشق على حزب تودة عام ١٩٦٥ ويسمى « توفانت » « الصاعقة » وهناك الرابطة الاشتراكية التي تأسست في فترة حكم مصدق عام ١٩٥٢ .

هذا بالإضافة الى تنظيمات صغيرة ذات ميول مختلفة منها مجموعة « جزبي » التي تشكلت في الستينات وانضمت عام ١٩٦٩ الى مجموعة ماركسية أخرى يتزعمها أحمد زادة وأعلننا عن اتحادهما في منظمة واحدة هي (فدائي الشعب) التي تنادى باعتماد الكفاح المسلح فقط لاسقاط النظام الإيراني .

٤ - أحزاب وطنية أخرى :

هناك مجموعة أخرى من الأحزاب موزعة في ولائها بين الجبهة الوطنية والحركة الإسلامية ومن هذه الأحزاب حزب تحرير إيران الذي يتزعمه الدكتور « مهدي بازاركان » وكذلك حزب إيران وحزب الشعب الإيراني الاشتراكي .

٥ - الأقليات :

ورغم تسلط الأضواء على إيران طيلة العام الماضي إلا أن هذه الأقليات بقيت خارج دائرة الضوء وربما كان هذا الإهمال مقصوداً فهذه الأقليات تعمل بدهاء وخبت شديدين ومنها :

(١) البهائية :

وهو في الأصل مذهب ينتسب إلى محمد علي باب وهو رجل دين ادعى أنه الإمام المهدي (الثاني عشر) وأنه المرأة التي يتجلى فيها الله وأستدعى من قبل الشاه ناصر الدين وطلب إليه الأخير أن يبرهن عما يدعيه ويبرهن به . . ثم عقد له مجلساً خاصاً مع بعض العلماء . فلما أعيتته حيلة محتاجتهم أمر ناصر الدين بقتله وعلى الرغم مما يرفعه من شعارات التقريب بين كل بني آدم والجمع بين الاتجاهات السماوية الثلاث إلا أنهم في الحقيقة يكون عطفاً خاصاً على اليهودية واسرائيل هي قبلة معتنقيها وهم موجودون في إيران أكثر من أي بلد آخر .

ويقول خصومهم أنهم لا يزيدون عن خمسة الاف بينما يدعى انصارهم أنهم مائة ألف ويشاع أن أمير عباس هويدا ينتمى اليهم وكذلك بعض افراد الأسرة المالكة :

وفي ١٤ نوفمبر ١٩٧٨ م

قدم وفد عن الجمعية الروحية الوطنية للبهائيين في فرنسا بياناً الى المجلس الاقتصادي والاجتماعى التابع للأمم المتحدة اعرّب فيه عن قلق الجمعية ازاء الأحداث الجارية في ايران والتي يخشى أن تؤدي الى المساس بحياة وممتلكات المؤمنين البهائيين - على حد تعبير البيان - .

(ب) المسيحيون :

ويصل تعدادهم نصف مليون (المعرفة التونسية عدد ١٠ سنة ٤) وهم من الاثرياء الذين يسيطرون على مواقع ذات أهمية في ايران .

(ج) اليهود :

ويبلغ تعدادهم بضعة مئات من الآلاف (المعرفة التونسية عدد ١٠ سنة ٤) ويعتبرون من ائرى الطبقات في المجتمع الابرائى .

الفصل السابع

الموقف الدولي

تعتبر ايران ذات أهمية خاصة في السياسة العالمية على جميع الأطراف الدولية وتنبع هذه الأهمية من أسباب تجعل أى تطور داخلى مصحوباً دوماً بانعكاساته الخارجية عدة .

١ - البترول الايراني : حيث تعتبر ايران رابع دولة منتجة للبترول بعد الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة والعربية السعودية وجل هذا الانتاج يذهب الى الولايات المتحدة واليابان وأوروبا الغربية واسرائيل وجنوب أفريقيا كما تعتبر ايران الدولة الثانية في انتاج الغاز الطبيعى بعد الاتحاد السوفيتى ومن المؤمل أن تصل قيمة انتاجها من الغاز عام ١٩٨٥ ما يعادل قيمة إنتاجها من البترول والغريب في شأن الغاز أن الاتحاد السوفيتى يشتري المتر المكعب منه بدولارين ويبيعه بما قيمته ستة عشر دولاراً !

٢ - تقع ايران في الفناء الخلفى للاتحاد السوفيتى حيث تبلغ حدودها معه حوالى ١٢٠٠ ميلاً وهذا العامل يشكل عنصراً هاماً في السياسة الغربية الرامية الى عزل الاتحاد

السوفيتي ومنعه من الانتشار جنوباً ومن هنا نبعت أيضاً
امكانية خلق قوة حربية في ايران تحرس المصالح الغربية في
المنطقة وتقف في وجه التهديد السيوعى بالاضافة الى ارتباط
الجمهوريات الجنوبية في الاتحاد السوفيتي بايران بروابط
عديدة .

٣ - لايران حدود هامة على الخليج العربى تزيد عن
الف كيلو متر تمكنها من الاشراف عليه والتحكم فيه بصفته
طريق البترول الهام الى الغرب واليابان وجنوب افريقيا
واسرائيل .

٤ - وقوع ايران في وسط حزام آسيوى اسلامى جعل
لها دوراً هاماً في قيادة هذا الحزام والتأثير في دوله ومن
هنا فان ايران تأتى ضمن المناطق العالمية الحساسة وهذه
المناطق عادة تخضع لسلوك خاص في مفهوم علاقات التوازن
الدولية فكونها تدخل ضمن اطار المصالح الحيوية والأمن
القومى للأطراف الدولية الكبرى يجعل هذه الدول تحاول
دوماً التقدم لتحقيق المكاسب المباشرة والغير مباشرة ولكن
بحذر يدرك خطورة الوضع وردود الفعل الممكنة ولهذا فان
عملية خرق لحدود الوفاق الدولى تشكل خطراً ليس فقط
على أمن الدول الكبرى بل على مصير العالم بأسره ، ومن
هنا تتسم اللعبة ضمن طابع الحذر والتفهم كما سنرى
عند دراسة وضع كل القوى العالمية بالتفصيل .

بقيت نقطة أخيرة قبل شرح مواقف الدول الكبرى وهى ان هذه الأهمية الاستراتيجية سواء لايران أو لاي بلد أخرى مثلها تجعل السياسيين فى هذه البلدان وكأنهم لا يملكون حرية كبيرة فى اتخاذ القرارات السياسية التى تتعارض مع مصالح هذه القوى كما أن هؤلاء المسؤولين يدركون سلفاً مثل خطورة هذه القرارات على مستقبلهم السياسى .. والآن لننظر فى الموقف الدولى بالتفصيل .

١ - الولايات المتحدة الأمريكية :

لفهم الدور الأمريكى فى ايران يجب ان نفهم أولا الاطار العام للأهداف العالمية التى تقع ضمن نطاقها المصالح الأمريكية وأول هذه الأهداف هو المحافظة على الاستقرار العام على المسرح العالمى .. بما يخدم فى النهاية المصالح الاستعمارية للولايات المتحدة فالخطورة من وجه النظر الأمريكية تكمن فى عدم الاستقرار الذى يولد التوتر والمنازعات سواء الداخلية والخارجية وهذا قد يقود الى محاولات راديكالية للتغيير تهىء فى النهاية مجالاً مفضراً للنشاط الشيوعى أو أى نشاط معاد للولايات المتحدة ، وهذا الهدف يقودنا مباشرة الى الهدف الثانى وهو عملية احتواء التوسع السوفيتى حيث يمثل الاتحاد السوفيتى ومؤيدوه مركزاً منافساً ورئيسياً للقوة العالمية ممكن أن يهدد أحياناً طموحات الولايات المتحدة والدعوة الى الاستقرار على الطريقة

الأمريكية تعنى دوماً ان تشرف الولايات المتحدة على عمليات نزع الفتائل وحل التناقضات لتحل المعادلة الميكانيكية .

« التضحية بالصديق من أجل اجهاض عدو قادم »
فما يهمها دوماً هو حفظ جوهر النظام مهما كان الشكل النهائي فليس المهم أن يبقى الصديق في الحكم المهم ان يبقى ولاء النظام ضمن شروط موضوعية تراقبها الولايات المتحدة باستمرار » ومراقبة اجهزة المخابرات الأمريكية ، لكثير من الأنظمة في المنطقة أصبح لا يخفى على أى مطلع اليوم هل نفهم من هذا أن الولايات المتحدة وقفت موقفاً سلبياً من الشاه .. ومتى .. ولماذا ؟ .

قبل الاجابة لابد من التذكير بطبيعة الدور الإيراني وأهميته بالنسبة للولايات المتحدة في تقرير نشر منذ حوالى عام عن لجنة العلاقات الدولية التابعة للكونجرس الأمريكي اشارات الى أهمية المصالح الأمريكية الإيرانية فالى جانب كون إيران قاعدة اقليمية استراتيجية وتشكل مع اسرائيل خط الدفاع الاول عن المصالح الغربية فان من المعروف ان مقر وكالة الاستخبارات المركزية (C.I.A) قد نقل الى طهران . كما أنها حلقة رئيسية في المخططات العسكرية الأمريكية وعضواً مشاركاً للولايات المتحدة في الحلف المركزى وتربط الولايات المتحدة بعقود ثنائية تشمل جميع الميادين العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية وشئون الطاقة . هذا بالإضافة الى أن إيران تشكل سوقاً هاماً للصادرات الأمريكية

فهى تحتل المركز الأول فى الأسواق الإيرانية وتشكل نسبة ٢٠ ٪ من واردات إيران بدون السلاح وينتظر أن يبلغ معدل المبيعات الأمريكية لإيران فى الفترة (٧٥ - ٨٠) نحو ٥٢٢ مليار دولار هذا وقد ازداد هذا التقارب فى بداية السبعينات لأسباب عديدة :

١ - اقتناع أمريكا بعد هزيمتها فى جنوب شرق آسيا بضرورة وجود قوة محلية تقوم بنفس الدور الأمريكى .

٢ - دلالة حرب أكتوبر ، فقد تقلصت أهمية الشريك الثانى لإيران فى خط الدفاع الأول عن المصالح الغربية خاصة وأن وجود إسرائيل فى محيط عدائى يقلل من قدرتها على الفعل بل ربما كان سبباً لانهايار انظمة حليفة للغرب !

٣ - تعاظم الدور السوفيتى فى المحيط الهندى واقترابه من البحر الأحمر فى حين تسمى الولايات المتحدة للقيام بهذا الدور وحدها .

٤ - خوف الشاه من تكرار تجربة بنغالاديش خاصة وأن هناك تشابهاً بين التركيب الباكستانى والإيرانى .

٥ - تعاظم عائدات النفط مما يجعل إيران حليفاً استراتيجياً قوياً يشارك فى تحسين ميزان المدفوعات الأمريكى .

ويلخص الكاتب الأمريكي « مايكل كلير » الاستراتيجية بعد ذلك حبال ايران بالنقاط الرئيسية الثلاث التالية :

١ - تحويل ايران الى دولة كبرى محلية قادرة على مواجهة اى تهديد للامر الواقع الحالى وللاستقرار فى الخليج مما يضمن سيطرة الولايات المتحدة على منابع النفط ومداخله وطرقه هيمنتها على المنطقة بواسطة القوة العسكرية

٢ - تحسين قدرات الحكومة الايرانية لتمكنها من الامساك بالامن الداخلى وتعزيز العلاقات الأمريكية مع الجيش الايرانى .

٣ - اعتبار الاستقرار السياسى الايرانى قاعدة اساسية فى منطقة الخليج باسرها .

ويؤكد المعنى السابق تقرير الكونجرس الأمريكى الذى يقول :

« ان للولايات المتحدة مصلحة مباشرة فى ايران مستقرة سياسياً ويمكن الدفاع عنها اذ ان هذه الامة ما تزال حائلا دون روح المغامرة فان من شأن ايران قسوة ومستقرة ان تشكل عائقا امام الفصائل الراديكالية فى الخليج » .

والعبارة الاولى من التقرير تذكرنا بحديث الشاه لمجلة نيوزويك الأمريكية ٢٤ - ١ - ١٩٧٧ .

« اذا لم تكن لكم ايران قوية قادرة على ضمان أمنها الخاص وامن المنطقة (الخليج) وفي حال الضرورة امن المحيط كله فماذا تراكم فاعلون ؟ . . هل انتم مستعدون لارسال مليون جندي أمريكى فى مكان ما من المنطقة ؟ هل انتم راغبون فى قتيانام أخرى » .

اما العبارة الاخيرة من التقرير فتذكرنا أيضا بحديث الشاه مع « سلزبرجر » مراسل هيرالد تريون عام ١٩٧٥ « تصور هؤلاء الهمج (توار ظفار) سيطروا على الضفة الثانية لمضيق هرمز وان حياتنا باتت رهناً بأيديهم » .

وبعد فان كانت المصالح الأمريكية ترتبط بايران بمثل هذه القوة فلماذا الشائعات عن الموقف الأمريكى السلبي ولماذا الاشارة المتعمدة والمبكرة من طرف كارتر ضد الشاه بخصوص قضية حقوق الانسان .

هذا التساؤل الأخير لا يمكن شرح الاجابة عليه الا من خلال الاتباء المؤكدة عن وجود اتجاهين فى الادارة الأمريكية .

الاتجاه الأول : الذى يدعو الى تثبيت حكم الشاه شخصياً ويتزعم هذه الاتجاه الجناح الأمريكى المتعاطف مع الخط الاسرائيلى داخل الكونجرس وفى وزارة الدفاع وعلى رأس هذا الاتجاه يأتى السناتور الأمريكى هنرى جاكسون الذى يطالب لا بتقييد الشاه بل بتقوية دوره ومضاعفة

وسائله العسكرية ، ويصف أحد كتب الامام الخميني بأنها نسخة حديثة عن كتاب كفاح، لهتلر وسنتكلم عن مبررات اخرى لهذا الاتجاه عند الحديث عن اسرائيل .

الاتجاه الثاني : وهو الذي يقول أن الاستمرار لا يرتبط بالضرورة بقاء الشاه شخصياً بل في وجود حكم قوى اقرب الى الشرعية وقادر على احداث اصلاحات اجتماعية واقتصادية وبالتالي تطويق اى تغيير راديكالى محتمل ويرى بعض منظري هذا الاتجاه أن الشاه شخصية متعصبة قومياً وانه ليس يليونه حليف آخر كالسعودية مثلاً فهو يحاول ان يكون حليفاً قوياً يمارس لعبة التوازن بشكل لا يرضى دائماً الولايات المتحدة فهو مثلاً يشتري السلاح من أوروبا الغربية بوفرة مزعجة وفي ايام التظاهرات العنيفة في طهران ١٩٧٨ نشرت التايم خبراً مفاده ان بريطانيا هي بصدد توقيع أكبر عقد عسكري عرفته في تاريخها وهو عقد بناء مجمع صناعى هائل في اصفهان لانتاج الذخيرة تبلغ تكاليف بناءه اكثر من ٧٥٠ مليون جنيه استرلينى ، هذا بالاضافة الى الموقف المتشدد فى قضية ارتفاع الاسعار البترولية التى تبناه ايران ، وفى الزيارة الأخيرة للشاه الى الولايات المتحدة طلب الشاه من كارتر التوقف عن حكاية حقوق الانسان التى تثير أعصاب الشاه فطلب منه كارتر اتخاذ موقف نعطى قريب من موقف السعودية أى مناهض لارتفاع أسعار البترول وبالفعل فعندما انعقد مؤتمر الأوبك بعدها فى كاراكاس فوجيء الجميع بموقف ايراني ينافس الموقف السعودى فى الاعتدال .

وبعد كل هذا فقد أصبح الاعتقاد ان الولايات المتحدة التى اتت بالشاه الى السلطة عام ١٩٥٣ أصبحت اليوم مiale الى التخلّى عنه تحت ضغط الظروف المنفيرة هذا رغم خطورة المحاولة. - ولكن هل كان الدليل هو الحل الاسلامى - معاذ الله - الولايات المتحدة راس النفاق فى العالم والتى وقت لكل حركة اسلامية بالمرصاد . فهى تعرف معنى قيام دولة اسلامية مستقلة وخطورة هذا على مصالحها . . الولايات المتحدة تعرف خطورة وصول الامام الخمينى الى قمة السلطة وهو الذى قال فى أحد رسائله لليندون جونسون عام ١٩٦٤ :

**- ليعلم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية اليوم انه
اقدر انسان على وجه الأرض لدى الشعب الايرانى .**

ان ما تفكر أمريكا به الآن هو كيف يمكنها اجهاض الثورة الاسلامية ، وهل من المناسب أن تنحنى للريح فى هذه المرحلة أم لا . .

اذن ها هو البديل ؟ !

هناك دائماً فى الحسابات الأمريكية عدة احتمالات وعدة حلول للازمات ، لابد من وصول رجل أكثر ليونة مع جميع الأطراف يكمل سياستها ويمتص النعمة الشعبية .

ولهذا يقال ان استقالة عباس هويدا كانت بناء على نصيحة احد الاصدقاء الحميمين مظهراً موقفاً متحفظاً تجاه ما يجرى في البلاد ومجهزاً نفسه كى يلعب دوراً حاسماً في المرحلة المقبلة وان كانت اللعبة لن تستطيع احتمال هويدا فهناك على أمنيى السياسى الداهية والوزير السابق فى حكومة مصدق الوطنية . . وتظل أمريكا تمسك أوراق أخرى مثل شاهبور بختيار عضو الجبهة الوطنية والمعروف بماضيه ضد الشاه فقد اعتقل ست مرات بدون محاكمة ، وهكذا فان تنازل الشاه للأمير رضا فى وجود هويدا أو أمنيى أو بختيار أو أى بديل آخر يبقى أحد الأوراق الأمريكية ، كل هذا فى ظل دعم من الجيش الملىء بالخبراء والعلماء والأصدقاء ولكن هل يمكن أن تمر الاعيب أمريكا على الامام الخمينى والحركة الاسلامية وجماهير الشعب الايرانى .

ان وعى وصلابة الخمينى تشير ان الى أن اغلب الأوراق لا زالت فى يده .

٢ - الاتحاد السوفيتى :

يحاول الاتحاد السوفيتى اختراق حاجز الأمن المحيط به وقد استطاع أن يفعل هذا بعد انقلاب أفغانستان الذى أوصل مؤيديه الى السلطة وهو بلا شك ينتظر ايران لقمة شهية ومثيرة رغم ما يحيط هذه الشهوة من محاذير وعقبات ومخاطر ويحلم بعد ذلك بالالتفاف حول باكستان وبالتالي يستطيع زعزعة الطوق الأمنى الغربى وتهديد أمن

منطقة الخليج وطرق النفط في المحيط الهندي والبحر الأحمر والمعروف أن إيران تدخل ضمن المخططات الروسية منذ عهد القياصرة حتى الآن فقد سعت روسيا القيصرية تارة بالتفاهم وطوراً بالضغط للحصول على منفذ جنوبي عن طريق إيران يطل على الخليج العربي ورغم هذا الاحساس فهناك علاقات وثيقة بين نظام الشاه والاتحاد السوفيتي حيث يوجد هناك ١٣٤ مشروعاً صناعياً في إيران تنفذ بمعونة سوفيتية تنتج ٩٠ / من مجموع انتاج الفحم و ٩٠ / من الصلب ، ٧٠ ٪ من الفولاذ كما يبيع الشاه كميات كبيرة من الغاز للاتحاد السوفيتي الذي يشتري منه المتر المكعب بدولارين ويبيعه لدول أوروبا بـ ١٦ دولار . هذا وقد بلغت صادرات إيران الى الاتحاد السوفيتي عام ٧٥ - ٧٦ نسبة ١٨٠٦ ٪ من اجمالي الصادرات الإيرانية كما استوردت إيران من الاتحاد السوفيتي في نفس العام ما قيمته ١٦٩ مليون دولار محتلاً بذلك المرتبة الثانية عشر بين الدول المصدرة الى إيران وقد وقعت الدولتان في يوليو ١٩٧٥ اتفاقية لانشاء أطول خط أنابيب للغاز في العالم يمتد من جنوب إيران الى الاتحاد السوفيتي ألف كيلو متر وفي أغسطس ٧٧ وقعت صفقة نفطية يشتري الاتحاد السوفيتي بمقتضاها لأول مرة في تاريخه بترولاً من الخارج مليون طن من النفط الخام مقابل سلع تموينية ، والاتحاد السوفيتي يدعم دائماً هذه العلاقات ويحافظ عليها لأسباب منها .

التفيل من الدور الصينى فى ايران هذا الدور الذى
يزعج الاتحاد السوفيتى .

وعندما بدأت الاضطرابات تجنب السوفيت اتخاذ موقف
عدائى تجاه الشاه بل ان البراقدا اتهمت رجال الدين بانهم
سبب الاضطرابات لمعارضتهم لأصلاحات الشاه الخاصة
بتحديد الملكية التى ضربت مصالح كبار رجال الدين
الاقطاعية وكذلك ارسل بريجنيف برقية للشاه يوم ٣٠
اكتوبر بمناسبة عيد ميلاد الشاه أو العيد الوطنى الايرانى ،
ثم اخذ السوفيت يلقون بالمسؤولية على أجهزة القمع
البوليسية وأحياناً تتهم أجهزة المخابرات الأمريكية بتنظيم
الاضطرابات الا انه وفى الفترة الأخيرة بدأت بوادر الحرب
الباردة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة .. فهذا
تصريح لمدير المخابرات الأمريكية يعلن عن تأكده من وجود
نفوذ سوفيتى فى الأزمة وهذا رد من « تاس » وبريجنيف
شخصياً : انها كذبة كبرى ، ثم تكال الاتهامات للأمريكيين
ودورهم داخل الجيش ودورهم فى انقلاب مرتقب . باختصار
فاذا لم تتدخل الولايات المتحدة بشكل مباشر ولم يشعر
الاتحاد السوفيتى بظهور منجستو فى ايران وهو احتمال
شبه مستحيل فان الاتحاد السوفيتى يميل الى بقاء نظام
الشاه لعدة أسباب .

١ - يدرك السوفييت طبيعة اللعبة الأمريكية ومسرحة
البديل التى تدبرها أمريكا من فترة الى أخرى خاصة وان

الشاه استطاع ان يحدث توازناً معقولاً من نظام كنفظامه هذا التوازن الذى سيختل لصالح أمريكا فى حالة وصول البديل الأمريكى .

٢ - العلاقة الطيبة بالنظام والذى اشرنا اليه من خلال الاتفاقات الاقتصادية المعقودة بين الطرفين وكذلك علاقتهم الطيبة بالشاه ذاته فقبل عامين اعاد الشاه للسوفيت الطيار السوفيتى الذى لجأ الى ايران وعندما كان الزعيم الصينى هو اكوفنج فى زيارة استمرت ٣ ايام لايوان أثناء اشتعال الأزمة وذلك لدعم الشاه ارسل الشاه شقيقته الأميرة اشرف فى زيارة سرية لموسكو كى تطمئن السوفيت ان العلاقة الجديدة بين طهران وبكين لن تؤثر بشئ على العلاقات الطيبة مع موسكو ولا على معاهدة عدم الاعتداء القائمة بين الاتحاد السوفيتى منذ ١٩٢١ والتى تعطى السوفيت حق استخدام الاراضى الإيرانية فى حالة تعرض حدودهم للخطر .

٣ - خشية الاتحاد السوفيتى من انتصار الثورة الإسلامية وقيام حكم اسلامى قوى سيزيد من المشاكل المستعصية التى تعانى منها موسكو مع جمهورياتها الجنوبية هذه الجمهوريات المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بايران المسلمة أكثر من ارتباطها بالاتحاد السوفيتى .

٤ - ادراك الاتحاد السوفيتى لصعوبة اشتراك الشيوعيون فى الحكم .

ولكن هذا لا يمنع ان يقف السوفيت مواقفاً تكتيكية حسبما تقضى تطورات القضية .

اسرائيل والفلسطينيين :

يحمل المسلمون الشيعة ثأراً قديماً ضد اليهود المتهمون بالتآمر على قتل الامام على كما يتوارث المسلمون والشيعة منهم بشكل خاص قصة بطولة الامام على في حمل باب احدى قلاع خيبر واستخدامها كدرع في القتال ضد اليهود ، ولقد عاش الشعب المسلم في ايران فترة طويلة تحت وطئه العلاقة مع اسرائيل فحمل لها كرهاً شديداً لدرجة أن تنهم الحركة الاسلامية ويسرى ذلك بين الناس في ايران ان الجنود اطلقوا النار على المتظاهرين يوم الجمعة الأسود ١٨ - ٩ - ١٩٧٨ كانوا من اليهود ولقد ساند الامام آية الله الخميني الكفاح المسلح الذي يقوم به الشعب الفلسطيني فافتى بوجوب العمل على ازالة اسرائيل وصرف موارد الزكاة من اجل هذا العمل وفي اثناء حرب اكتوبر اصدر بيانين حث فيهما الشعوب والدول الاسلامية على مساندة الشعوب العربية في مواجهة العدو الصهيوني المفتصب وهناك رسائل متبادلة بين الامام الخميني وياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية (سبق ان اشرنا اليها في الفصل الثاني) وعندما اتهم الشاه منظمة التحرير بمساندة الثورة الاسلامية في ايران ردت المعارضة الاسلامية في بيان اذيع في ١٧ - ٨ - ١٩٧٨ م

« .. ان العلاقة بين الشعبين الايراني والفلسطيني هي علاقة نضالية في مواجهة عدو واحد يستهدفهما معاً » .

« . . وهل التعاون بين ثورتى شعبى ايران وفلسطين جريمة وتهمه ؟ ان ذلك شرف وفخر كبيرين لهذين الشعبين المناضلين » . ومن هذا يتضح مقدار الخوف الاسرائيلى من سقوط الشاه صاحب العلاقة الخاصة مع اسرائيل فالشاه معجب شخصياً بمنجزات اسرائيل بالاضافة الى حاجته الى اسواقها لتصدير النفط واستيراد سلع خاصة وبلاضافة للموقف الموحد من كلا الطرفين تجاه وحدة الامة العربية هذا وتنمى ايران الشاه لاسرائيل حق هبوط طائراتها فى المطارات الايرانية . بل ان بارى ماتش الفرنسية تروى عن شاهد عيان فى عدد يوليو ١٩٦٧ ان الطائرات الحربية الامريكية كانت تهبط فى المطارات الايرانية حيث ترسم عليها نجمة داود ثم تنتقل الى اسرائيل كما ان هناك تلميحات فى اوساط كثيرة مطلعة الى وجود تعاون نووى بين اسرائيل وايران وجنوب افريقيا . ولذلك رأينا منذ البداية كيف قدمت الموساد الاسرائيلية المعونة للسافاك عند وبعد تأسيسها كما اشارت الهيرالد تريون فى ١٤ - ٧ - ٧٨ وكذلك ما اشيع عن ضرب الجنود الاسرائيليين الذين يلبسون الملابس الايرانية للمتظاهرين الامر الذى جعل « ايجال يادين » يصدر تصريحاً يكذب فيه هذا الامر قائلاً : ان الجنود الاسرائيليين لم يطلقوا النار على المتظاهرين فى طهران » وقد كشف ان ٣٠٠ خبير اسرائيلى سافروا الى طهران بعد ان اعلنت حالة الطوارئ فى البلاد ولهذا بدأ واضحاً موقف اسرائيل ومن يؤيدها فى وزارة الدفاع والكونجرس الأمريكى كهنرى

جاكسون من الشاه والسعى لتأييده لما يشكله سقوطه وتغير النظام من خطر على اسرائيل حيث ان هذا السقوط يعنى بالنسبة لها :

- ١ - قطع النفط حيث ان ٧٠ ٪ من نفط اسرائيل يأتي من ايران وما سيؤدي ذلك من اصابة اقتصادها من اخطار ويجعلها عاجزة عن الدخول في أى حرب جديدة .
- ٢ - خسارة اسرائيل لحليف عسكري قوى فتصبح بذلك معزولة في المنطقة .

بالاضافة لما يشكله سقوط النظام من تأثير مباشر على موقف اسرائيل التفاوضي في محادثات السلام .

وكل هذا يعطى التفسير للحملة الاعلامية ضد الثورة الاسلامية ، فصحيفة (هاتسوفيه) المتدينة تقول « ايا كان النظام الذى سيخلف الشاه فلن يكون الا الاسوا . . » وفالت « الجيروزلم بوست » (ان الاطاحة بالشاه لن تؤثر فحسب على الوضع الجغرافى والسياسى للخليج العربى ولكن فى توازن القوى بصورة عامة) وهكذا فالثورة الاسلامية فى محور من أهم محاورها هى الصراع بين الخمينى واسرائيل .

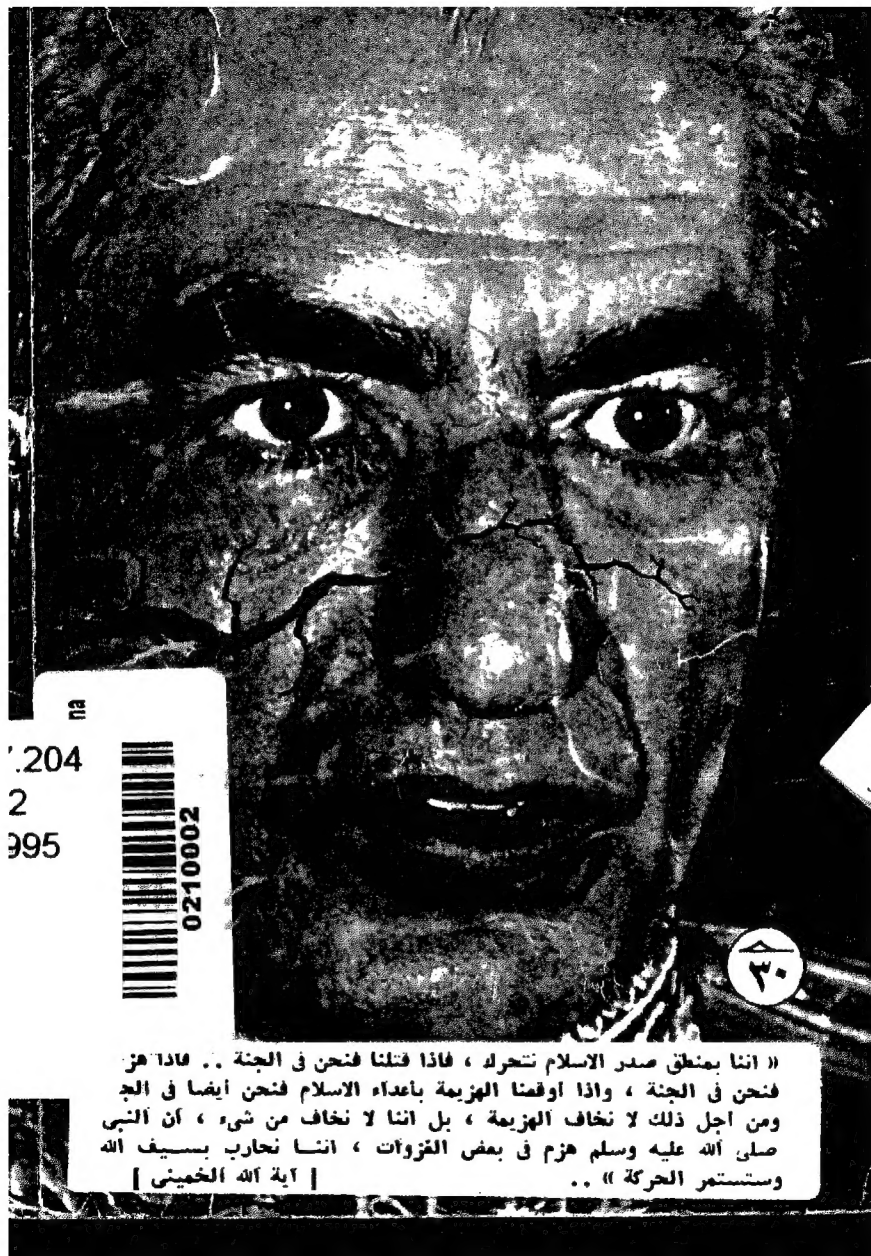
الوطن العربى :

لقد كانت احتمالات الصدام بين ايران والدول العربية قائمة سواء أيام عبد الناصر أو اثناء الأزمة الكردية على

حدود العراق او بأشكال غير معلنة ولقد اهتمت الجهات الدولية بالصراع الغير معلن ففي المؤتمر السنوى لمعهد الشرق الاوسط « ١ ، ٢ اكتوبر ١٩٧١ تناول المؤتمر دراسة عوامل التناقض بين السعودية وايران كما كان من نصيب مؤسسة (راند) الأمريكية تقديم دراسة للمخابرات الأمريكية عن احتمالات الموقف في حالة نشوب حرب بين العربية السعودية وايران بسبب الصراع على الخليج العربى وقد بدأت ايران الشاه مخططها عندما احتلت جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى ، وكان هذا تمهيداً ايرانياً لتوقيع اتفاقية بين الشاه والملك فيصل بشأن جزيرتين متنازع عليهما هما (فارس وعربى) فأخذ الشاه الأولى وبقيت الثانية للسعودية ورغم هذا الصراع المعلن والغير معلن فان موقف السعودية من احداث ايران لم يتسم احياناً بالتحفظ كعادتها بل ان الأمير سلطان بن عبد العزيز أصدر بياناً في ٢٠ نوفمبر - انتقد فيه الثورة الاسلامية وحمل المسؤولية للشيعوية الدولية وقد قوبل هذا الانتقاد الصريح برد عنيف من الحركة الاسلامية حيث أصدر رجال الدين المناضلون في بيروت بياناً هاجموا فيه السعودية فحملوها هى وبقية الأنظمة الملكية تبعية وجود اسرائيل وعزوا هذا الانتقاد الى خوف السعودية من امتداد الثورة الاسلامية اليها . هذا وقد وقفت الكويت موقفاً مشابهاً للسعودية وكذلك اعلنت العراق حسن نيتها للشاه فطلبت من الخميني مغادرة البلاد وربما كان هذا بسبب الاتفاق العراقى الايرانى

بشأن الأفراد ولكن الأهم هو تخوف العراق من النور
الاسلامية خاصة وأن اضطرابات كربلاء والنجف الاشرف
عام ١٩٧٧ لازالت ماثلة في الاذهان أما ليبيا ذات الخلاف
التقليدي مع الشاه فقد أعلنت تأييدها للثورة وكذلك
سورية .

ولعله غريب فعلا أن تقف بعض الدول العربية هذا
الموقف السلبي من الثورة التي تعلن دعمها وتأييدها لقضايا
العرب . . الا ان كان تخوف هذه الدول من مد الثورة
الاسلامية الى داخلها هو السبب .



204

2

995



0210002

« اننا بمنطق صدر الاسلام نتحرك ، فاذا قتلنا فنحن في الجنة .. فاذا هز
فنحن في الجنة ، واذا اوقفنا الهزيمة باعداء الاسلام فنحن ايضا في الج
ومن اجل ذلك لا نخاف الهزيمة ، بل اننا لا نخاف من شيء ، ان النبي
صلى الله عليه وسلم هزم في بعض القزوات ، اننا نحارب بسيف الله
وستستمر الحركة » ..
[آية الله الخميني]